دور العلماء في مواجهة الانتداب الفرنسيّ لسوريّة

مرح رافع البرغش[1]

الملخَّص

عملت فرنسا منذ بدء دخولها الأراضي السُّورِيَّة إلى استخدام كلِّ الأساليب، والوسائل، والطُّرق الوحشيَّة، والهمجيَّة لفرض سياستها الاستعماريّة، واحتلال الأراضي السُّورِيَّة؛ لتحقيق أهدافها السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة بالدّرجة الأولى، لكنَّ ذلك لم يكن سهل المنال، بل لاقت مقابل سياستها المستبدّة في الأراضي السُّورِيَّة مُقاومة شرسة، ومُناهضة عظيمة من قبل أفراد المجتمع السّوري.

لكنَّ هذا البحث سيقتصر على توضيح دور العلماء إبَّان الانتداب الفرنسي لما في ذلك من أهمّيّة في إظهار جهودهم مع تقديم رؤية تحليليَّة عن دورهم في الحفاظ على الهويَّة العربيَّة، والدِّفاع عن الوطن، وعدم السَّماح للسُّلطات الفرنسيّة بتثبيت أقدامها مدّة أطول في الأراضي السُّورِيَّة من خلال نضالهم المسلَّح، وبالمقابل، التّركيز على نِضَالهم السّلمي الّذي أثَّر في مقاومة السُّلطات الفرنسيّة، وقيّد حركتها، وأرهق قوَّاتها، واستنزف طاقتها، ومعدَّاتها، وحمّلها أعباء هائلة حتَّى تراجعت، وانكفَّت عن مساعيها، وانجلت عن الأراضي السُّورِيَّة، ثمّ الخاتمة الّتي قُدِمَ فيها ما خلص إليه البحث من نتائج.

المقدّمة

سعت السُّلطات الفرنسيّة منذ بدء تغلغلها نحو الأراضي السُّورِيَّة إلى مُحاربة كلِّ من يُقاوم الانتداب الفرنسي مُمارِسة في ذلك أشدّ أنواع التَّعذيب، والتَّنكيل، لكن ذلك لم

---

١. دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة دمشق.

يصدّ السُّوريّين عن الدِّفاع عن موطنهم، فقد قاوموا مُقاومة عظيمة للحدّ من هذا التَّغلغل بقدر المُستطاع كلٌّ بحسب قُدرته في المُقاومة، وهذه المُقاومة لم تنحصر بأصحاب المناصب السِّياسيَّة، والعسكريَّة دون الأخرى، فقد أسهم فيها كلُّ السُّوريّين بمختلف مناصبهم، ولم يكن العلماء بمعزل عن هذه الأحداث السِّياسيَّة المُعاصرة لهم، لذلك وانطلاقًا من المساعي الغربيّة في طمس تاريخ الدُّول العربيَّة، وتهميش جهود أبناء هذه الدُّول في مُقارعة الاستعمار الأجنبيّ لها، ومقاومة سياسته التَّغريبيَّة السَّاعية إلى سلب حرّيّة هذه الأوطان، وتفكيك الهويَّة العربيَّة، وتجزئتها على أسس طائفيَّة، وعشائريَّة ...إلخ، ومن محاولاتها غضّ البصر عن بعض الحقائق لتبرير سياستها الاستعماريّة، فإنَّ الإشكالية تتمحور حول إعادة النّظر في هذه الحقائق، ودراستها عبر الكشف عن أحداث لم يتمّ التَّطرُّق إليها من قبل، توضّح دور العلماء الرِّيادي بمختلف أنواعه إن كان مباشرًا، أو غير مباشر في مواجهة الاستعمار الفرنسيّ.

أمَّا هدف البحث، فهو تسليط الضَّوء على جملة من الأحداث الّتي أعطت صورة واضحة عن مواجهات العلماء للسُّلطات الفرنسيّة في الأراضي السُّوريَّة، ومعرفة مساعي هؤلاء العلماء في مقاومة الفرنسيّين، والتَّأثيرات الّتي ظهرت على حياتهم بعد هذه المقاومة. في حين تمحورت أهمِّيّة البحث من جوانب عدّة، منها: مُعالجة التَّطوّرات السِّياسيَّة الّتي أسهمت في نهوض أبناء المجتمع في مقاومة السُّلطات المُنتدبة؛ بهدف التَّعرُّف على سياسة السُّلطات الفرنسيّة لاحتلال الأراضي السُّوريَّة، وبالمقابل أدوار العلماء في مقاومة السُّلطات الفرنسيّة، ولأخطارها المحدقة بالوطن، وأبنائه، فضلاً عن أهمِّيّة موضوع البحث، واستحقاقه إفراد دراسة بحثيّة متخصّصة فيه؛ لعلاقة الجوانب الّتي سلَّط الضَّوء عليها بالواقع المعاصر.

أمَّا منهج البحث، فقد ارتكز على المنهج التَّاريخي، والتَّحليلي من جمع الأحداث، وتحليلها عبر الاعتماد على جزء يسير من: الوثائق الفرنسيّة، والجرائد، والصُّحف، والمجلَّات المُواكبة للأحداث، وبعض المصادر الأصليَّة من مذكّرات سياسيّة معاصرة

لهؤلاء العلماء، وبعض المراجع الأجنبيَّة، والعربيَّة لاستنتاج المعلومات، والوقائع منها، كما استند البحث إلى المنهج الإحصائي من تتبّع أسماء العلماء المشاركين في مواجهة الانتداب، وفرزهم بحسب أدوارهم المسلَّحة، أو السّلميّة.

أوّلًا: نِضَال العلماء المسلَّح في مواجهة الانتداب الفرنسيّ

اتَّضح نِضَال العلماء المسلَّح منذ ابْتِداء تَغَلْغَل الفرنسيّين في الأراضي السُّورِيَّة لاحتلالها، وانتشر لهيب الثَّورات في أرجاء سوريّة، واستمر النِّضال ضدّ السُّلطات الفرنسيّة حتّى الجلاء عن الأراضي السُّورِيَّة، وهنا سيتمّ التّطَرُّق إلى دور العلماء في هذا النِّضال، وتوضيح أهمّيّته إِبَّان سنوات الانتداب الفرنسيّ.

١. ثورة الشَّيخ صالح العلي

برز في هذه الثَّورة الشَّيخ صالح العلي (١٣٠١-١٣٧٠هـ/ ١٨٨٣-١٩٥٠م)[١] بعد انتخابه قائدًا لها إثر اجتماعه في ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ كانون الأوّل ١٩١٨م مع زعماء، وشيوخ منطقة الشَّيخ بدر (طرطوس)، والمناطق المحيطة بها؛ لمجابهة الفرنسيّين بعد وصولهم إلى السّواحل السُّورِيَّة، وأَكَّد الشَّيخ صالح في أَثْنَاء الاجتماع أنَّ مَسَاعِي الفرنسيّين واضحة في تمَزْيق وحدة سوريّة، وتجزئتها على أُسس عَشائِرِيَّة، وطائفيّة، وبعد مُبَاحَثَات مكثّفة نتج منها إجماع الرّأي على المُقاومة[٢].

وما إن علمت فرنسا بنبأ الاجتماع حتّى أرسلت حملة؛ للقضاء على بذور المُقاومة قبل أن تنمو، وتشكّل خطرًا عليهم، وعلى الرّغم من عدم مقدرة الثُّوّار على التَهَيُّؤ للقتال بعد، إلَّا أنَّهم قاتلوا القوّات الفرنسيّة من مواقعهم المحصنة، واسْتَبْسَلوا في الدِّفاع عن

١. وُلِد في منطقة الشَّـيخ بدر التّابعة للمريقب (في طرطوس)، وتلقّى العلوم الدّينيّة عن والده الشَّـيخ علي سلمان الّذي عدّ آنذاك من أبرز مشايخ المريقب، وزعيم عشيرة البشارغة، وبعد وفاة والده بويع الشَّيخ صالح ليكون خليفةً له في الزّعامة. العياشي، غالب، تاريخ سـورية السّـياسيّ من الانتداب إلى الانقلاب (١٩١٨-١٩٥٤م)، وهو الإيضاحات السّياسـيّة، وأسرار الانتداب الفرنسيّ، ص١٨٤. اليونس، عبد اللطيف، ثورة الشيخ صالح العلي، ص٦٧-٦٨.

٢. هندي، إحسـان، كفاح الشعب العربي السـوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكرية تاريخية، ص٥٧. ثورة الشيخ صالح العلي، م.س، ص١٠١-١٠٢.

أرضهم بفضل دور الشَّيخ صالح المَلْحُوظ، وقدرته على التّخطيط الجيّد لسير المعركة على أكمل وجه[١].

ومن الواضح أن مُقاومة القوّات الفرنسيّة لم تقتصر على مَجْهُود الشَّيخ صالح، بل توسعت مع انضمام ما يقارب ٢٧ من ثُوّار الحفة (اللّاذقيّة)، وكان في طليعتهم: الشَّيخ عمر البيطار (١٣٠٤-١٣٦٦هـ/ ١٨٨٦-١٩٤٦م)[٢]، والشَّيخ عزّ الدّين القسّام (١٢٩٨-١٣٥٤هـ/ ١٨٨٠-١٩٣٥م)[٣]، والشَّيخ أحمد إدريس (١٣٠٣-٠٠٠٠هـ/ ١٨٨٥-٠٠٠٠م)[٤]، والشَّيخ صالح الجندي (١٣١٦-٠٠٠٠هـ/ ١٨٩٨-٠٠٠٠م)[٥]، وبعد إعلان انضمامهم إلى ثورة الشَّيخ صالح تزايدت الْمُنَازَعات بينهم، وبين الفرنسيّين، وكان النّصر حليف الثُّوّار، فجاء الرّدّ الفرنسيّ على ذلك باحتلال بعض قرى الحفة ومنها بابنا، ممّا أثار غضب القسّام، فقاد حملة إلى اللّاذقيّة، وهاجم القوّات الفرنسيّة حتّى أثار في قلوبهم الرّعب، وغادروا الثّكنة العسكريَّة، فحكمت السُّلطات الفرنسيّة على الثُّوّار بالإعدام غيابيًّا[٦].

---

١. زرزور، فارس، معارك الحرية في سورية، ص٥٦-٥٨. ثورة الشيخ صالح العلي، م.س، ص١٠٢-١٠٣.

Huntziger Août 1936: P.32.

٢. وُلِد في شيرقاق (في اللّاذقية)، وبعد تلقّيه العلم عن علماء عصره تولّى الزّعامة في الحفة، وبعد مسيرته الجهاديَّة ضد الفرنسيّين سجن عدّة شهور، ثمّ نزح إلى تركيا، وبقي هناك حتّى وفاته. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٩.

٣. وُلِد في جبلة (في اللّاذقية)، وأخذ العلم عن علمائها، ثمّ انتقل إلى الأزهر، وتبحّر في العلوم الشّرعيّة، وبعد عودته إلى موطنه شرع بأعماله الجهاديَّة، ثمّ انتقل إلى فلسطين، واشتهر ببطولاته فيها، حتّى نال شرف الشّهادة. آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، ص٢٤-٢٥.

٤. وُلِد في قرية الزنكوفة (في اللاذقية)، واشتهر بعد مشاركته بالثَّورة جانب القسّام، وقد سجن ما يقارب أربع سنوات، ثمّ وليّ إمامة مسجد قرية الزنكوفة، وبقي فيه حتّى وفاته. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٢٥.

٥. وُلِد في الحفة (في اللّاذقية)، وتلقى العلوم الشّرعيّة فيها، ثمّ ولي مناصب دينيّة عدّة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٢٢.

٦. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٩، ٢٢، ٢٤-٢٥. الخانجي، نشأت جميل شاكر، ثوّار صنعوا الاستقلال صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية، ص١٦٧. رضا، علي، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء، ص٢٥-٢٦، ٢٩. العلواني، جميل، نضال شعب وسجل خلود، ص٩٥.

حقّقت هذه النّجاحات نتائج عظيمة على الصّعيدين: المحليّ، والعالميّ، إذ أقبلت فرنسا إلى الاتّفاق مع بريطانيا، وأرسلا بعثة للمُهادَنَة مع الشَّيخ صالح للسّماح للقوّات الفرنسيّة بالحصول على الماء من الشَّيخ بدر، فكان هذه المؤتمر بمَطِيَّة الهدنة مع الشَّيخ صالح، ورجاله؛ لنيل مبتغاهم، وبالفعل فقد شرعت القوّات الفرنسيّة منذ دخولها الشَّيخ بدر بالتَهَيُّؤ لإشْعَال النار، فأمر الشَّيخ صالح رجاله بالإغارَة عليهم، ونَشَبَتْ معركة دامية انتهت باندِحار الفرنسيّين[١].

وعلى الرّغم من اتِّضاح مدى إخْفاق القوّات الفرنسيّة في مُقاومة الشَّيخ صالح، ورجاله في المعارك السّابقة، إلَّا أنَّها لم تتقاعس عن اسْتِئْنَاف معاركها لاحتلال الأراضي السَّاحِليَّة، فجَهَّزت في ١٦ رمضان ١٣٣٧هـ/ ١٥ حزيران ١٩١٩م حملة؛ لاجْتِيَاح الشَّيخ بدر، وبالمقابل، فقد أعدَّ الشَّيخ صالح خطة مع رجاله عبر التّخفّي؛ لعدم اكتشاف الطّائرات مواقعهم، فدارت بينهم معركة ضارية كانت الغَلَبَة للثُّوّار[٢].

ويبدو أنَّ انتصار الثُّوّار في غَالِبيَّة المعارك جعل الفرنسيّين يفاوضون الشَّيخ صالح؛ للمُصالَحَة، وبالفعل صَادَقَ على الصّلح، وتهيَّأَ خِلاله الشَّيخ صالح، ورجاله على الهجوم الفرنسيّ المُرْتَقَب كما في الصّلح السّالف ذكره، وبعد مضيّ مدّة الصّلح حدث ما كان متوقّعًا، فشهدت المنطقة سلسلة من المعارك بينهما[٣]، تفوق فيها الشَّيخ صالح على الفرنسيّين في معظمها[٤]، حتّى وصفوه في مراسلاتهم بأنَّه من: «أبرز أعدائهم في

١. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٢. معارك الحرية في سورية، م.س، ص٦٠. نضال شعب وسجل خلود، م.س، ص١٠٠-١٠٢. لونغريغ د.ت: ص١٠٦. كفاح الشعب العربي السوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكرية تاريخية، م.س، ص٦٠.

٢. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٤، ٦٠-٦١. الحكيم، يوسف، سورية والانتداب الفرنسي، ذكريات، ص٦٣-٦٤. نضال شعب وسجل خلود، م.س، ص١٠٢-١٠٤. كفاح الشعب العربي السوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكرية تاريخية، م.س، ص٦١-٦٢.

Huntziger Août 1936: P.32, 34- 35.

٣. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٥. نضال شعب وسجل خلود، م.س، ص١٠٦.

Ministère Français Des Affaires Étrangères 9 Aout 1919: P.59- 60.

٤. تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب (١٩١٨-١٩٥٤م) وهو الإيضاحات السياسيّة وأسرار الانتداب

سوريّة»[١]. لكن وصول الإمدادات، والمعدّات الحربيّة الهائِلة للفرنسيّين مكّنهم من التّضييق على الثُّوّار، فنتج من ذلك احتلال الفرنسيّين الشَّيخ بدر في ٢٧ شوال ١٣٣٩هـ/ ٤ تموز ١٩٢١م[٢] بعد إجبارهم على خوض معارك عسكريَّة مُطوّلة. وبعد احتلال المناطق السَّاحِليَّة أعلن الفرنسيّين أنَّ الشَّيخ صالح استسلم، وغادر ساحة المعركة مع قوّاته[٣]، وفي نهاية المطاف يمكن القول: إنَّه وعلى الرّغم من النِّهاية المأَسَاويّة للثّورة، لكن لا يمكن إنكار دور العلماء الفعَّال طوال سنوات الثَّورة في إعاقة أعمال القوّات الفرنسيّة.

٢. معركة ميسلون

توضح منذ توجيه إنذار[٤] هنري غورو (**Henri Gouraud) (Le Général**)[٥] في ٢٧ شوال ١٣٣٨هـ/ ١٤ تموز ١٩٢٠م إلى الملك فيصل الأوّل (١٣٠٠- ١٣٥٢هـ/ ١٨٨٣-١٩٣٣م)[٦] أنَّ الحرب واقعة بين الفرنسيّين والسُّوريّين لا محالة، ذلك أنَّ رد

الإفرنسي، م.س، ص١٨٤.

1. Ministère Des Affaires Étrangères Commission Des Archives Diplomatiques Documents Diplomatiques Français 21 juillet 1921: P.69.

٢. تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب (١٩١٨-١٩٥٤م) وهو الإيضاحات السياسيّة وأسرار الانتداب الإفرنسي، م.س، ص١٨٤.

Huntziger Août 1936: P.96- 97.

3. Le Matin 12 Novembre 1921: P.3. La Lanterne 13 Août 1921: P.3. Republique Française Ministere Des Affaires Étrangères 1926: P.28.

٤. حول إنذار غورو ينظر: الفقير، حسن تحسين باشا، الإنتداب الفرنسي الغاشم على سوريا كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير، ص٣٣-٣٤.

٥. وُلِد في باريس، وتلقى تعليمه فيها، وتولى بعد إنهاء تعليمه عددًا من المناصب السياسية الفرنسية حول العالم، ومن أشهرها تعيينه جنرالاً فرنسيًا لتسيير المخططات الفرنسية في سورية ولبنان، ثمّ مندوبًا ساميًا في بداية الانتداب الفرنسي.

Haut Commissarıat De La République Française En Syrie Et Au Liban (20 Août 1922: P.234. La Vigie marocaine 17 Septembre 1940: P.1.

٦. تولى مناصب سياسية عدة، وكان له إسهام فعّال في عدد من الحروب والثَّورات التي قادها بنفسه، فعين على إثرها ملكًا على سورية، وبقي في هذا المنصب حتى معركة ميسلون، ثم عيّن ملكًا على العراق، ودام حكمه فيها ما يقارب ١٢ عامًا. الكيالي د.ت: ج٤، ص٦٨٠.

الملك فيصل تأخّر في الوصول إلى غورو؛ بسبب انقطاع الأسلاك البرقية في سرغايا (شمال دمشق) كما يدعي البعض[١]، في حين يقال: أنَّ غورو نقض العهد، وتغاضى عن الرد، وأسرع بتوجيه الأوامر للقوّات الفرنسيّة للزحف نحو دمشق؛ واحتلالها[٢]، وعلى أي حال، فإنَّ النّتيجة واحدة من هذه الأقوال، وهو أنَّ القوّات الفرنسيّة كانت تتقدّم باتّجاه دمشق، لكن لم يكن عدد الجيش كافيًا للمواجهة؛ بسبب تسريحهم[٣]، لذلك تَهَيَّأَ عدد غفير من المتطوّعين من أرجاء سوريّة قارب عددهم ٥٠٠ متطوّع في بادئ الأمر؛ لمؤازرة الجيش[٤].

ولمّا بدأت الحرب لوحظ أنَّه كان من أبرز المتطوّعين نخبة من العلماء كـ: الشَّيخ كمال الخطيب (١٢٩٢-١٣٣٨هـ/ ١٨٧٤-١٩٢٠م)[٥] الّذي سارع إلى شراء بندقيّة عثمانيّة مع ذخيرتها على نفقته الخاصّة، وشارك مع المتطوّعين في المعركة إلى أن كتبت له الشّهادة[٦]، وقد انضمّ جانبه أخوه الشَّيخ محمَّد صالح الخطيب (١٣١٣-١٤٠١هـ/ ١٨٩٢-١٩٨١م)[٧]، وبذل جهودًا واضحة في مُقاومة الفرنسيّين، لكنّه وقع في أسرهم[٨]،

---

١. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٥٩. الإنتداب الفرنسي الغاشم على سوريا كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير، م.س، ص٤٥.

٢. الأرمنازي، نجيب، محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، ص١٢. السفرجلاني، محي الدين، فاجعة ميسلون والبطل العظيم يوسف العظمة، ص٢٣٣. تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب (١٩١٨-١٩٥٤م) وهو الإيضاحات السياسيّة وأسرار الانتداب الإفرنسي، م.س، ص١١٦-١١٧. هندي، إحسان، معركة ميسلون، ص٦٠.

Ministeres Des Affaires Etrangeres Et De La Guerre 16 Août 1920: P.102.

٣. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٥٩. معركة ميسلون، م.س، ص٦٣، ١٠٨.

٤. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.ن، ص١٦٠.

٥. وُلِد في دمشق، وأخذ العلم عن علماء عصره الكبار في الجامع الأموي، وتولّى عددًا من المناصب الدّينيّة، منها: خطيب وإمام جامع الخريزاتية، كما عرف بتدريسه طلاب العلم ضمن حلقات تدريس. فاجعة ميسلون، والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٣٤٠.

٦. الحافظ، أباظة، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، ج١، ص٣٨١-٣٨٣.

٧. وُلِد في عكا، ثم انتقل مع والدته إلى دمشق وأكمل تحصيله العلمي فيها، وولي عددًا من المناصب الدينية في سورية وفلسطين. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٩٦٣.

٨. م.ن، ج٢، ص٩٦٣.

كما انخرط في صفوف المجاهدين كلّ من: الشَّيخ عبد القادر كيوان (١٢٩٣-١٣٣٩هـ/ ١٨٧٥-١٩٢٠م)[١] والشَّيخ ياسين كيوان (١٣١١-١٣٣٩هـ/ ١٨٩٣-١٩٢٠م)[٢]، واستبسلا في مقاتلة الفرنسيّين حتّى استشهدا في ساحة المعركة[٣].

وقد أسهم في المعركة أيضًا من العلماء البارزين المعروفين بجهودهم العظيمة في مُقاومة الفرنسيّين منذ دخولهم إلى الأراضي السُّورِيَّة، وهو الشَّيخ عزّ الدّين القسّام الّذي اتّجه نحو دمشق بعد مشاركته الجهاديَّة في ثورة الشَّيخ صالح العلي، وسارع للانضمام إلى معركة ميسلون إلى جانب إخوانه المجاهدين، وبقي يقاتل الفرنسيّين إلى أن انتهت المعركة، فغادر دمشق قاصدًا حيفا[٤].

وظهر من بين العلماء المشاركين في ميسلون من فضَّل التّنازل عن مناصبه الدّينيّة، والالتحاق بصفوف الجيش السّوري، ومثال على ذلك يلاحظ أنَّ الخوري حبيب إسطفان (١٣٠٥-١٣٦٥هـ/ ١٨٨٨-١٩٤٦م)[٥] تخلّى عن «لباس الكهنوت»، وعن خطابة الحفلات الدّينيّة، والوطنيّة في دمشق، وأصبح ضابطًا في الجيش ليشارك في ميسلون[٦].

وكان من بين المنضمّين إلى المعركة ثُلَّة من العلماء المتصوّفة الّذين لم ينعزلوا عن قضايا المجتمع، ولم يبعدهم التَّزَهُّد عن المشاركة في الأحداث السِّياسيَّة في موطنهم،

---

١. وُلِد في دمشق، ونشأ فيها، ثمّ انتقل إلى بيروت، وتابع تحصيله العلميّ هناك، وبعد أن أجيز منهم عاد إلى موطنه الأمّ، وتولّى عددًا من المناصب الدّينيّة منها خطيب الجامع الأمويّ. فاجعة ميسلون، والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٣٣٩.

٢. وُلِد في دمشق، وتَتَلْمَذَ على أيدي كبار مشايخ عصره، وبعد إتمام تحصيله العلمي، ولي الخطابة في جامع القلبقجية. م.ن، ص٣٤٠.

٣. م.ن، ص٣٣٩-٣٤٠.

٤. شراب، محمّد محمّد حسن، عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، ص١١٢.

٥. وُلِد في بتاتر (في قضاء الشوف-لبنان)، وسلك طريق الرّهبانيّة، ثمّ انتقل إلى دمشق، وبقي هناك حتّى معركة ميسلون، فانتقل إلى مصر، ثمَّ إلى أميركا، ثمّ قام برحلات متعدّدة، حتّى توفيّ في البرازيل. آل جندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، ج٢، ص٣٩٩-٤٠٢.

٦. الحكيم، يوسف، سورية والعهد الفيصلي، ذكريات، ص٨٤.

منهم: الشَّيخ محمَّد الشّريف اليعقوبي (١٢٨٢-١٣٦٢هـ/ ١٨٦٥-١٩٤٣م)[١] فقد حشد بعدما تَأَجَّجت نيران الثَّورة عدد من المتطوّعين من طلبته، فحملوا السِّلاح، والتحقوا بمجاهدي ميسلون[٢]، ومنهم الشَّيخ محمَّد حجازي كيلاني (١٢٧٨-١٣٦٠هـ/ ١٨٧٠-١٩٤١م)[٣] الّذي لم يكتفِ بتحويل زاويته الصّوفيّة إلى مقرّ لاجتِمَاعات المجاهدين، بل شارك في المعركة، واستبسل في الدِّفاع عن أرضه[٤]، ومنهم الشَّيخ صلاح الّدين أبو الشّامات (١٣١٦-١٣٣٩هـ/ ١٨٩٨-١٩٢٠م)[٥] ومع مَيْله للتَّزَهُّد، لكن ذلك لم يمنعه من اسْتِجابة النّداء الوطنيّ، والدّينيّ في ميسلون[٦].

ورغم المُقاومة العظيمة، ورغم كلّ ما أمكن حشده من الجنود، والمتطوّعين، إلّا أنَّهم لم يتمكّنوا من الصّمود أكثر من بضع ساعات نتيجة الهجوم الفرنسيّ العنيف المجهّز بالمعدّات الحربيّة الثّقيلة المدعومة بالطّائرات[٧]، لكن ومع ذلك، فإنّه لا يمكن التّغاضي عن الأعمال الجهاديَّة، والبطوليّة للمجاهدين من الثُّوّار، والعلماء، وعن الدّماء الّتي سُفِكْت في سبيل نصرة الأراضي السُّورِيَّة.

٣. ثورة العنابزة (خشام)

بعد سلسلة من المعارك الّتي ابتدأت مطلع العام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م) بين الثُّوّار،

---

١. وُلِد في دمشق، وحصل العلوم الشّرعيّة، وأخذ الطّريقة الخلوتيّة والنّقشبندية عن والده وعمه، وشغل بعض المناصب الدّينيّة. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٥٧٩-٥٨٥.

٢. م.ن، ج٢، ص٥٧٩-٥٨٥.

٣. وُلِد في دمشق، وتلقى تعليمه الشرعي هناك، واشتهر بجهوده العظيمة ضد الفرنسيّين. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٥٩.

٤. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٥٩.

٥. وُلِد في دمشق، ونشأ بها، وقد أولى عناية خاصّة بالتصوف جانب اشتغاله بتجارة العطور. فاجعة ميسلون والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٣٤١.

٦. م.ن، ص٣٤١.

٧. الإنتداب الفرنسي الغاشم على سوريا كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير، م.س، ص٧٠-٧٢. معركة ميسلون، م.س، ص٢١٧-٢١٨.

والقوّات الفرنسيّة؛ لاحتلال دير الزُّور، وعندما وصلت القوّات الفرنسيّة في شهر صَفَر ١٣٤٠هـ/ تشرين الأوّل ١٩٢١م على مقربة من خشام وجديد عگيدات (في ريف دير الزُّور) بدأ الشَّيخ حمود الحماديّ (١٣٠٧-١٣٤٠هـ/ ١٨٩٠-١٩٢١م)[١] يحثّ أبناء عشيرته (العنابزة) للمشاركة معه في مُقارعة الفرنسيّين، فالتَحَق به عدد يسير، وباشَرَوا بحفر الخَنادِق، ووضع المتاريس في خشام تَأَهُّبًا للثّورة[٢].

ابْتَدَأَت القوّات الفرنسيّة بالهجوم مَدْعُومة بالمعدات الحربيّة الحديثة، ومع جاهزيّتها القويّة لكنَّها لم تتمكّن من المقاومة، والصّمود نتيجة التّخطيط، والتّنظيم الّذي انتهجه الشَّيخ حمود، ومن معه في القتال، وهنا لا بدّ من القول: إنَّ الأعمال الجهاديَّة في هذه الثَّورة لم تنحصر بأبناء عشيرة العنابزة، وإنَّما التحق بها عدد من أبناء المناطق المجاورة نصرة لأرضهم، ووقوفًا جانب إخوانهم في الثَّورة[٣]، وكان منهم الشَّيخ محمَّد عطا الله الفراتي (١٢٩٨-١٣٩٨هـ/ ١٨٨٠-١٩٧٨م)[٤] الّذي عمل جاهدًا مع من كان معه من الثُّوّار إلى مُنَازَلَة الفرنسيّين[٥]، وبعد استبسال الثُّوّار في القتال، تبيّن النّجاح الملحوظ في التّنظيم، وبخاصّة بعد أن أبادوا عددًا هائِلاً من القوّات الفرنسيّة، وأسروا عددًا منهم[٦].

كانت نتائج الثَّورة كفيلة بإثارة غضب فرنسا، فسارعت إلى الانتقام من الثُّوّار عبر قصف خشام، والأراضي المحيطة بها بالطّائرات، فأفسحت المجال للقوّات الفرنسيّة

---

١. وُلِد في قرية خشام ونشأ بها، وتولّى مشيخة عشيرة العنابزة «فخذ البكير» من عشائر العگيدات، وعرف ببطولته وشهامته في مُقاومة القوّات الفرنسية في دير الزُّور. الجندي، أدهم، صفحات منسية عن بطولات أبناء دير الزُّور، ص١٠٠-١٠٩.

٢. عياش، عبد القادر، وادي الفرات في القطر العربي السّوري، ص١٥-١٦.

٣. صفحات منسية عن بطولات أبناء دير الزُّور، م.س، ص١٠٠-١٠١.

٤. وُلِد في دير الزُّور ونشأ بها، وحصل العلم في بادئ الأمر عن الشَّيخ حسين الأزهري، ثمّ انتقل إلى حلب، ودرس في المدرسة الخسروية، ومنها انتقل إلى القاهرة لأخذ العلوم الشّرعيّة عن علماء الأزهر، وبعد أن أجيز عاد إلى موطنه الأم، وكانت له إسهامات بطوليّة في الجهاد ضدّ المستعمر الفرنسيّ. شوحان، أحمد، تاريخ دير الزُّور، ص٢٧١-٢٧٢.

٥. الرويلي، محمّد رشيد، الحركة الثقافية في محافظة دير الزُّور خلال القرن العشرين دراسة وبيلوغرافيا، ج١، ص١١٤؛ ج٣، ص١٢٦-١٢٧.

٦. صفحات منسية عن بطولات أبناء دير الزُّور، م.س، ص١٠١. مطر، محمّد، صانعوا الاستقلال يستحقون تخصيصهم برواتب شهرية أسوة بزملائهم في المحَافظات الأخرى، ص٣.

بالدّخول إلى خشام، واشتبكوا مع الثُّوّار، وهنا يصف أحد الثُّوّار المرافقين للشّيخ حمود في الثَّورة بطولات الشَّيخ قائلاً: «...أثناء المعركة كنا نتراهن على اصطياد جنود السّنغال من وراء خنادقنا، فقد كان يقول لي: أين تريد أن أضرب لك ذلك الأسود الطّويل؟ فأقول له في جبينه، وإذا أصبته، فلك منّي كذا، وكنّا نصطاد السّنغالي كما نصطاد الغزال، ولكن فارقًا كبيراً بين الغزال، والغزال الأسود المستعمر»...[١].

وبعد سجال عنيف بينهما، واستبسال في الدِّفاع عن الوطن استشهد الشَّيخ بعد إصابته برصاصة طائشة، لكنّ الفرنسيّين لم يكتفوا باستشهاده، وإنمَّا قطعوا رأسه، وأرسلوه إلى فرنسا دلالةً على انقضاء الثَّورة[٢]. ومن هذه الثَّورة يلحظ القارئ مقدار وحشيّة السُّلطات الفرنسيّة في احتلال الأراضي السُّوريَّة، وبالمقابل يلحظ مقدار الجهود العظيمة، والجبّارة المُنطلقة من الدِّفاع عن الأراضي السُّورِيَّة.

٤. الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى

اشتعلت الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى مع انتصارات سلطان باشا الأطرش (١٣٠٦-١٤٠٣هـ/ ١٨٨٨-١٩٨٢)،[٣] وثُلَّة من الثُّوّار المرافقين له في معركتيّ الكفر، وصلخد (السّويداء) أواخر محرم ١٣٤٤هـ/ تموز ١٩٢٥م ضدّ القوّات الفرنسيّة، ولم يكن اندلاع هذه الثَّورة مفاجئًا، بل كان نتيجة تراكم الأسباب منذ الاحتلال الفرنسي لسوريّة، وما فرضه من سياسة مستبدّة في مختلف المجالات، مع تنامي فكرة التّحرّر، ونيل الاستقلال[٤].

ومن الواضح أنَّ القوّات الفرنسيّة أدركت خطورة هذه الثَّورات، فسارعت إلى إخمادها،

---

١. علوان، إبراهيم، النِضَال القومي لدير الزُّور، ص٨٠.

٢. صفحات منسيّة عن بطولات أبناء دير الزُّور، م.س، ص١٠٩. النِضَال القومي لدير الزُّور، م.س، ص٧٩-٨٠.

٣. وُلِـد في القريّا (في السـويداء)، وتلقى التّعليم في المدارس الابتدائيّة، ثمّ أخذ التّعاليـم الدّينيّة، والمبادئ الأخلاقيّة عن والده، وبرع في الفروسيّة، وذاع صيته بعد إعلانه الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى ضدّ الفرنسيّين. طلاس، مصطفى، أحداث الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى كما سردها قائدها سلطان باشا الأطرش (١٩٢٥-١٩٢٧م)، ص٢٥-٣٣، ٤٢-٤٣، ٦٦-٦٧.

٤. معارك الحرية في سورية، م.س، ص١٩٦-٢٠٠. أبي راشد، حنا، جبل الدروز، ص٢٨٢-٢٨٣. قاسمية، خيرية، مذكرات فوزي القاوقجي (١٩١٢-١٩٣٢م)، ص١٠٥-١٠٦.

واشتبكت مع الثُّوّار في المزرعة، وبعد سجال عنيف بينهما كانت الغَلَبة للثُوّار[١]، فانتشر خبر الانتصار في أرجاء سوريّة، وأعطى باعِثًا قويًّا للثُوّار لدعوة مجموعة من المتطوّعين للمشاركة بالثَّورة، وبالفعل فقد اتّسعت الثَّورة، وانتشر لهيبها في بقعة واسعة من الأراضي السُّوريَّة كحماة، وحمص، وكانت دمشق، وغوطتها ساحةً واسعة لمعاركها[٢].

أمام هذه التّطوّرات فقد سلك العلماء في هذه الثَّورة نَهْجًا مُمَاثِلاً لما انتَهَجَوه في الثَّورات، والمعارك السّابقة، إذ أقدم ثُلَّة من العلماء على حمل السِّلاح، والالتحاق بالثَّورة لمجابهة القوّات الفرنسيّة كـــ: الشَّيخ محمَّد حجازي كيلاني، والشَّيخ أحمد محيي الدين شعبان حيبا (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٣]، والشَّيخ محمَّد الأشمر (١٣١٠-١٣٨٠هـ/ ١٨٩٢-١٩٦٠م)[٤] الّذين انطلقوا من دمشق منذ اشْتِعال البذور الأولى للثّورة قاصدين ساحات المعركة[٥]. ولما انتقلت الثَّورة إلى دمشق، وغوطتها ظهر نوع جديد من التّحالفات بين العلماء، فلم يعد انضمامهم إلى الثَّورة عشوائيًا، وإنَّما اشتركوا في تجمّع أطلق عليه: "عُصْبَة المشايخ"، أو "عِصَابَة المشايخ"، وكان لها دور واضح في حركات المُقاومة، وقد أسّسها الشَّيخ محمَّد الفحل (١٣١٨-١٣٤٥مـ/ ١٩٠٠-١٩٢٦م)[٦]، والشَّيخ محمَّد

---

١. شهبندر، عبد الرحمن، ثورة سورية الكبرى أسرارها وعواملها ونتائجها، ص٦٤-٦٧. مذكرات فوزي القاوقجي (١٩١٢-١٩٣٢م)، م.س، ص١٠٧. مذكرات عبد الرحمن الشهبندر، ص١٦٤.

٢. سورية والانتداب الفرنسي، ذكريات، م.س، ص١١٦-١١٨. سراي ١٩٢٩: ص٩٠-٩٣. مذكرات عبد الرحمن الشهبندر، ص١٧٠-١٧٩.

٣. وُلِد في برزة (في دمشق)، وتلقّى العلوم الشّرعيّة في دار الحديث بدمشق، وتولّى خلال حياته عددًا من المناصب الدّينيّة والسّياسيّة، وبعد مشاركته في الثَّورات ضدّ الفرنسيّين، انتقل إلى منطقة الأزرق، وبقي فيها حتّى صدور العفو العامّ، ثمّ عاد إلى موطنه، واستقرّ هناك حتّى وفاته. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٤٦١-٤٦٢.

٤. وُلِد في الميدان (في دمشق)، وتلقّى العلم عن كبار علماء عصره، وأولى الحديث الشّريف عناية خاصّة، فقصد دار الحديث بدمشق، ثمّ شارك في الأعمال الجهاديَّة ضدّ الفرنسيّين، وانتقل بعد ذلك إلى الأردن، وبقي فيها حتّى العفو، وعاد إلى موطنه، واستقرّ هناك حتّى وافاه أجله. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٦١.

٥. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٥٩، ٥٦١.

٦. وُلِد في الشّاغور (في دمشق)، وتلقّى العلم عن الشَّيخ محمّد بدر الدّين الحسني، والشَّيخ علي الدّقر، ثمّ تولى عددًا من المناصب الدّينيّة في دمشق. فاجعة ميسلون، والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٦٨٣.

الأشمر، وقد بذلا مَجْهُودًا عظيمًا منذ بداية الثَّورة، وتنقلا في الأراضي السُّورِيَّة؛ ليشاركا في معظم الثَّورات.

ومن خلال الدّور الرّائد الّذي حقّقه كلّ من الشَّيخ محمَّد الفحل، والشَّيخ محمَّد الأشمر، فقد التفّ حولهما العلماء في معارك الغوطة[١]، وبرز منهم: الشَّيخ عبد الحكيم المنير (١٣٢٢-١٤١٤هـ/ ١٩٠٤-١٩٩٣م)[٢]، والشَّيخ عبد الله حليس (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٣]، والشَّيخ شريف الخطيب (١٣٠٦-١٣٧٠هـ/ ١٨٨٨-١٩٥٠م)[٤]، والشَّيخ سعيد الأحمر(١٣٢٠ -١٤٠١هـ/ ١٩٠٢-١٩٨١م)[٥]، والشَّيخ محمَّد علي الطباع (١٣١٢- ١٣٨٧هـ/ ١٨٩٤-١٩٦٧م)[٦]، والشَّيخ محمَّد خير غزال(٠٠٠٠-١٣٤٥هـ/ ٠٠٠٠-١٩٢٦م)[٧]، والشَّيخ حوري الحلاق (١٣٢٠-٠٠٠٠هـ/ ١٩٠٢-٠٠٠٠م)[٨]، والشَّيخ مصطفى الحشاش (١٣١٦-١٣٦١هـ/ ١٨٩٨-١٩٤٣م)[٩]، والشَّيخ حمدي

١. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٢.

٢. وُلِد في دمشق، وبعد تبحّره في العلوم الشّرعيّة تولّى الإمامة في الجامع الأموي. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٩.

٣. وُلِد في عربين (في ريف دمشق)، واشتهر بعد مشاركته في معارك الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٩.

٤. وُلِد بدمشق، وتلقّى العلم الشّرعيّ عن والده وأعمامه، وباشر بالتّدريس في عدد من المدارس الدّمشقيّة، ثمّ أسّس المدرسة الأمينيّة في سوق الحرير. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٦٢٣-٦٢٥.

٥. وُلِد في التّلّ (في ريف دمشق)، وانتقل إلى دمشق، وتلقّى العلوم الشّرعيّة عن الشَّيخ أبي الخير الميداني، والشَّيخ محمّد شريف اليعقوبي، ثمّ انتقل إلى مصر بعد مشاركته بالثَّورة، وبقي هناك حتّى العفو العام. تاريخ علماء دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٩٦١-٩٦٢.

٦. وُلِد في حيّ القنوات (في دمشق)، وتلقّى العلوم الشّرعيّة على يد الشَّيخ عيد السفرجلاني، وشارك بمعركة ميسلون، والثَّورة السُّورِيَّة الكبرى، ثم نزح إلى الأردن، وبقي هناك حتّى صدور العفو العام. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٢.

٧. وُلِد في دمشق، ونشأ بها، وشارك في الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى ضد الفرنسيّين. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٣.

٨. وُلِد في الميدان، وتلقّى العلوم الشّرعيّة عن الشَّيخ علي الدّقر، وأولى عناية خاصّة للأعمال الجهاديَّة ضدّ الفرنسيّين في الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٤٩١.

٩. وُلِد في عربين، وأخذ العلوم الشّرعيّة على يد الشَّيخ محمّد بدر الدين الحسني، وشارك في معارك الغوطة. تاريخ الثورات

السمان(٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[١]، والشَّيخ عربي الخيمي (١٣١٧-٠٠٠٠هـ/ ١٩٠٠-٠٠٠٠م)[٢]، وقد أبلوا بلاءً حسنًا في عددٍ من معارك الغوطة[٣].

كما كان لانضمام بعض العلماء إلى عُصْبَة المشايخ، ومقاتلتهم القوّات الفرنسيّة في أراضي الغوطة، واستبسالهم في الدِّفاع عن أرضهم، أن نالوا شرف الشّهادة في سبيل الله الشَّيخ محمَّد الفحل، والشَّيخ مصطفى سيف (٠٠٠٠-١٣٤٥هـ/ ٠٠٠٠-١٩٢٦م)[٤]، والشَّيخ حمدي السمان، والشَّيخ عبد الوهاب الرجلة (١٣٠٩-١٣٤٥هـ/ ١٨٩١-١٩٢٦م)[٥].

ومن الأمثلة أيضًا على انضمام العلماء إلى عُصْبَة المشايخ أن حكم عليهم بالإعدام نتيجةً جهودهم في أرض المعركة ضدّ القوّات الفرنسيّة، ومنهم: الشَّيخ ديب القديمي (١٣١١-١٣٧٨هـ/ ١٨٩٣- ١٩٥٨م)[٦]، وأخوه الشَّيخ طالب القديمي (١٣١٣-١٣٦٥هـ/ ١٨٩٥-١٩٤٥م)[٧] الّذين أُلقي القبض عليهما إثر جهادهما، لكنّهما تمكنها

السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٣.

١. وُلِد في حي العمارة (في دمشق)، وبعد إتمام تحصيله العلمي تولّى الخطابة في عدد من مساجد دمشق، ثمّ انضمّ إلى معارك الغوطة ضدّ القوّات الفرنسيّة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٤٩١-٤٩٢.

٢. وُلِد في ساروجة (في دمشق)، واشتهر بمحاربة السّلطات الفرنسيّة في معارك الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٧.

٣. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٤٩١، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٧٢-٥٧٣. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٦٢٣، ٩٦١-٩٦٢.

٤. وُلِد في دمشق، ونشأ بها، وأتم تحصيله العلمي على أيدي كبار مشايخ دمشق، وشارك في الثَّورة السُّورِيَّة الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٣.

٥. وُلِد في ساروجة، ونشأ فيها، وقرأ العلم على كبار علماء دمشق، مثل الشَّيخ علي الدقر، ثمّ شارك في الثَّورات ضدّ الفرنسيّين حتّى استشهد فيها. فاجعة ميسلون، والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٦٣٢.

٦. وُلِد في القدم (في ريف دمشق)، واشتهر بجهاده ضدّ الفرنسيّين، وبعد فراره من السّجن انتقل إلى الأردن ثمّ فلسطين، وبقي هناك حتّى صدور العفو العام. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٠٠.

٧. وُلِد في القدم، وكان مرافقًا لأخيه في كافة أعماله الجهاديَّة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٠٠.

من الهروب من السّجون، فحُكِم عليهما بالإعدام[١]، ومنهم أيضًا الشَّيخ نديم شهاب (١٣١٥-٠٠٠٠هـ/ ١٨٩٧-٠٠٠٠م)[٢] وقد حكم عليه بالإعدام لجهوده في مقاتلة الفرنسيّين[٣].

وكان للشّيخ محمَّد إسماعيل الخطيب (١٤٠٣-٠٠٠٠هـ/ ١٨٩٣-٠٠٠٠م)[٤] وللشّيخ علي النجار (١٣٠٠-١٣٦١هـ/ ١٨٨٣-١٩٤٣م)[٥] دور في معارك الغوطة بعد اشتراكهما فيها جانب عدد من الأصدقاء، والمقرّبين حتّى أصدر الحكم عليهما بالإعدام، فتَخَفَّى الخطيب عن الأنظار في بيوت أقاربه، بينما مكث الشَّيخ علي النّجار في جامع تنكز (شارع النصر- دمشق) حتّى إعلان العفو العام[٦]، كما اشترك في الثَّورة كلّ من: الشَّيخ محمَّد صالح الفرفور (١٣١٨-١٤٠٧هـ/ ١٩٠١م- ١٩٨٦م)[٧]، والشَّيخ الدّكتور مدحت شيخ الأرض (١٣١٨-١٤٢٢هـ/ ١٩٠٠-٢٠٠١م)[٨]، والشَّيخ خالد البيطار (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٩]، والتحقوا بثَّورات الغوطة، وبذلوا جهودًا عظيمةً في ساحات

١. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٠٠.

٢. وُلِد في حي القنوات، وأخذ العلوم الشّرعيّة عن علماء دمشق، وكانت له مشاركات جهاديّة قيّمة في معارك الغوطة تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٨٣

٣. م.ن، ص٥٨٣.

٤. وُلِد في الشّاغور، وحصل التّعليم الشّرعيّ عن علماء عصره، وعرف بمشاركاته في المعارك ضدّ الفرنسيّين. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٦٣.

٥. وُلِد في عربين، وقرأ علومه الأوّليّة فيها، ثمّ انتقل إلى القاهرة، وأكمل تعليمه على أيدي كبار الأزهر الشّريف، ثمّ عاد إلى موطنه، وتطوّع في معارك الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٨.

٦. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٨.

٧. وُلِد في العمارة الجوانيّة (في دمشق)، فتعلّم القرآن الكريم، ثمّ انتقل إلى المدرسة الكامليّة، وتابع تحصيله العلميّ فيها، ثمّ أخذ العلوم الشّرعيّة عن علماء عصره كالشَّيخ محمّد بدر الدّين الحسني. الفرفور، محمّد عبد اللّطيف صالح، الزّاهر في الحديث العاطر عن الوالد الفاخر، ص٣٩-٤١.

٨. وُلِد في دمشق، وحصَّل العلوم الشّرعيّة في جامع أبي النّور، ثمَّ درس الطّبّ في الجامعة السُّورِيَّة، وبعد مشاركاته في الثَّورة حكم عليه بالإعدام، فانتقل إلى السّعوديّة، وتولّى عدّة مناصب، منها: كان طبيبًا للملك عبد العزيز. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٥.

الصواف، محمّد شريف عدنان، موسوعة الأسر الدمشقية تاريخها، أنسابها، أعلامها، ج٣، ص٢٨٧-٢٨٨.

٩. وُلِد في حمص وتلقّى تعليمه فيها، ثمّ انتقل إلى دمشق، واستقرّ هناك، وكانت له مشاركات بطوليّة في معارك الغوطة.

المعارك، واستبسلوا في الدِّفاع عن أرضهم جانب إخوانهم الثُّوّار[١].

وقد دفع بعض العلماء المنضمّين إلى عُصْبَة المشايخ الثّمن غاليًا بعد مشاركتهم في المعركة، إذ اضطرّوا إلى ترك وظائفهم الدّينيّة، والعلميَّة، ومغادرة موطنهم الأمّ، والنّزوح إلى الدُّول العربيَّة المجاورة ريثما تهدأ الأوضاع، وعرف منهم كلّ من: الشَّيخ عبد الوهاب العرجا (١٢٩٩-٠٠٠٠هـ/ ١٨٨٢-٠٠٠٠م)[٢]، والشَّيخ محمَّد الأشمر، والشَّيخ سعيد الأحمر، والشَّيخ محمَّد علي الطّباع، والشَّيخ ديب القديمي، والشَّيخ طالب القديمي، والشَّيخ الدّكتور مدحت شيخ الأرض[٣]. لكن وعلى الرّغم ممّا بذله الثُّوّار من مُقاومة جبّارة، ودماء غالية، إلّا أنَّ المعدّات الحربيّة الحديثة، وما رافقها من القصف المُشدّد بالطّائرات أدّى إلى تراجع الثُّوّار، وانتهاء الثَّورة، لكن ومن هذه الثَّورة يلاحظ أنّ دور العلماء لم يقتصر على الخطابة، وإصدار الفتاوي، والتّدريس في حلقات علميّة، بل تخطّت جهودهم ذلك أمام محبّتهم للوطن، والدِّفاع عنه.

ثانيًا: نِضَال العلماء السّلميّ في مواجهة الانتداب الفرنسي

أسهم العلماء بدور فعَّال ليس في المناحيّ الدّينيّة فحسب، وإنَّما في كلّ مناحي الحياة السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيّة، والثّقافيّة بشكلٍ مباشر أحيانًا، وبشكلٍ غير مباشر في أحيان أخرى، ولكن هذه الفقرة لن تتعرض إلّا لدور العلماء السّلميّ في أثناء الانتداب الفرنسيّ على سوريّة.

تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣١١.

١. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣١١، ٥٧٥. الزاهر في الحديث العاطر عن الوالد الفاخر، م.س، ص١١٠-١١١.

٢. وُلِد في دمشق، وحصَّل علومه بها، واشتهر خلال حياته بجهاده في معارك الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٤٧.

٣. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٠٠، ٥٤٧، ٥٦١، ٥٧٢، ٥٧٥. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٩٦٢.

١. الدّور السّياسيّ

ظهر دور العلماء في التّصدّي للاستعمار، ومُنَاهَضَة سياسته منذ تَغلغل السُّلطات الفرنسيّة نحو الأراضي السُّورِيَّة، وتمَثَّل دور البعض منهم بالتَدَخُّل في الأعمال السِّياسيَّة، في حين تمثّل دور البعض الآخر في مواقفهم السِّياسيَّة الخالدة بالتّعامل مع السُّلطات الفرنسيّة، وممن عُرِفَ آنَذَاك البطريرك غريغوريوس الرّابع حدّاد (١٢٧٥-١٣٤٦هـ/ ١٨٥٩-١٩٢٨م)[١] بعدما أدّى دورًا سياسيًّا كبيرًا في تَوْحِيد كلمة المسيحيين من: «... رؤساء الطّوائف المسيحيّة من: سريان، وأرمن، أرثوذكس، وكاثوليك، وموارنة، وإنجيليين (بروتستانت)»... لمبايعة الملك فيصل، ولِما قام به من دور سياسيّ من الوقوف جانب السُّلطات المحلّيّة، والمُجاهرة برفض السِّياسة الفرنسيّة، واستِنكار مشاريعها الاستعماريّة[٢].

وحينما اندلعت ثورة إبراهيم هنانو (١٢٨٦-١٣٥٤هـ/ ١٨٦٩-١٩٣٥م)[٣]، فقد أسهم الشَّيخ رضا الرّفاعي (١٣٠٣-١٣٦٧هـ/ ١٨٨٥-١٩٤٨م)[٤] بدور سياسيّ فعَّال بعد توّليه مهام سياسيّة، واستخباراتيّة منها مُراقبة تحرّكات القوّات الفرنسيّة، ومُتابعة الأحداث السِّياسيَّة لإعلام هنانو بها[٥].

ولم يكن الثُّوّار، والمجاهدين بمعزل عن الاستعانة بكبار العلماء في حلّ بعض

---

١. وُلِد في عبيه (قضاء عاليه – لبنان)، وحصل علومه الأوّليّة في المدارس الأمريكيّة، ثمّ التحق بالمدرسة الإكليركية، وانكب على تحصيل العلوم الدّينيّة منها، ونصب بطريركًا لأنطاكية، وسائر المشرق. رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج٣، ص٣٣٠-٣٣١.

٢. سورية والعهد الفيصلي، ذكريات، م.س، ص١٤٢-١٤٣. كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، م.س، ج٣، ص٣٨٤.

٣. وُلِد في كفرتخاريم (في إدلب)، وبها نشأ، ثمّ انتقل إلى حلب، وتابع تحصيله العلميّ فيها، ولما دخل الفرنسيّون إلى الأراضي السُّورِيَّة لجأ إلى جبل الزّاوية مع المجاهدين التّابعين له، وبدأ بأعماله الثّوريَّة ضدّ السّلطات الفرنسيّة، واستمرّ في ذلك حتّى انحلال الثَّورة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٦٤-٦٥، ٩٢، ١١٦-١١٧.

٤. وُلِد في حلب، وحصّل العلوم الشّرعيّة عن علماء عصره الكبار حتّى برع بها، وكان له إسهام فعّال في الجهاد ضدّ السّلطات الفرنسيّة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٢٨.

٥. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٢٨.

الإشكالات، والمعضلات في المعارك، والثَّورات، وهذا ما حدث عند الشُّرُوع بالتَّجهيزات السِّياسيَّة، والعسكريَّة استعدادًا لمعركة ميسلون، فكانت قِلّة عدد الجنود سببًا رئيسًا في الاستعانة بالشَّيخ محمَّد كامل القصّاب (١٢٩٠-١٣٧٣هـ/ ١٨٦٠-١٩٥٤م)[١] لِما كان له آنئذ من نفوذ قويّ، للوقوف جانب السُّلطات السِّياسيَّة، وبالفعل فقد تمكّن من تقديم الدّعم اللاّزم بعد جمع ٣٠٠ متطوّع من مختلف فئات المجتمع مع أسلحتهم[٢].

كما قام الشَّيخ محمَّد بدر الدين الحسني (١٢٦٧-١٣٥٤هـ/ ١٨٥٠-١٩٣٥م)[٣] بدور عظيم في مشاركاته السِّياسيَّة، فرفض رفضًا قطعيًّا مقابلة غورو بعد وصوله إلى دمشق عقب انقِضاء ميسلون، كما منع النَّاس من تَسْديد أيّ رسوم ضريبيّة للسُّلطات الفرنسيّة، ونهاهم عن التّعامل معهم، وأعلن أنَّ مُقاومة الفرنسيّين، والأعمال الجهاديَّة ضدّهم، فرض على أفراد المجتمع القادرين على حمل السِّلاح[٤].

ولم تقتصر جهوده السِّياسيَّة على ذلك فحسب؛ وإنَّما قصد في رحلته السِّياسيَّة، والدَّعويَّة المشهورة المناطق السُّوريَّة جانب ثُلَّة من العلماء الكبار؛ لتهيئة النّفوس للجهاد، وإعلامهم بمخطّطات مسير الثَّورة، فقصد أحد مساجد كلّ منطقة في سوريّة، وشرع يحثُّ أبناءها على الثَّورة، ويعلّمهم بالمخطَّطات السِّياسيَّة لها طالبًا عدم البدء بأيّ أعمال ثوريَّة عشوائيّة، وإنَّما الانتظار حتّى إعلامهم باستكمال التَّجهيزات العسكريَّة للبدء

١. وُلِد في حيّ العقيبة (في دمشق)، وتلقّى العلم على أيدي علماء دمشق والقاهرة، ولما عاد إلى موطنه اشتغل بالتّعليم، وأسّس المدرسة الكامليّة، وبعد مشاركاته ضدّ الفرنسيّين حكم عليه بالإعدام، فتنقّل بين فلسطين ومصر، ثمّ استقرّ في مكّة المكرّمة وشغل فيها عدة مناصب علميَّة مرموقة، منها: إدارة مديرية معارف الحجاز، وبقي هناك حتّى صدور العفو، فعاد إلى موطنه. ١٥ الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمسعربين والمستشرقين، ج٧، ص١٣.

٢. الانتداب الفرنسي الغاشم على سوريا كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير، م.س، ص٥٢-٥٣.

٣. وُلِد في دمشق وبها نشأ، وتتلمذ على أيدي علماء: دمشق، والقاهرة، ومكّة المكرمة، والمدينة المنوّرة، ثمّ بدأ بتدريس طلاّب العلم في حلقات علميَّة في الجامع الأموي، ودار الحديث الأشرفيّة، فأخذ عنه عددًا لا يُحصى من طلبة العلم. الطنطاوي، علي، رجال من التاريخ، ص٣٨١-٣٨٥.

٤. أبو خليل، شوقي، الإسلام وحركات التحرر العربية، ص١٧٠.

في وقت واحد، وإهلاك القوّات الفرنسيّة، وبالفعل، فقد نفَّذت مُخطَّطاته، وانتشر لهيب الثَّورة في وقت واحد في الأراضي السُّوريَّة، ولم تقف أعماله عند بدء الثَّورة، وإنَّما استمرَّ في مراقبة أعمالها عن كثب مع تقديم التَّعليمات، والمَشورة[١]، وقيل: إنَّ بعض الثُّوّار كالشَّيخ محمَّد الأشمر، والمجاهد حسن الخراط (١٢٧٨-١٣٤٤هـ/ ١٨٦١-١٩٢٥م)[٢] كانوا يزورون الشَّيخ لأخذ التَّعليمات السِّياسيَّة، ويلتمسون منه الدَّعوات[٣].

ومن الواضح أنَّ السُّلطات الفرنسيّة أدركت خطورة دور الشَّيخ في العمليّات السِّياسيَّة، والعسكريَّة، وتأثيره العظيم على الثُّوّار، لكنَّها لم تكن قادرة على إلحاق أيّ ضرر به؛ لأنَّ ذلك سيفاقم من تعاظم النِّيران ضدَّها، وقد وصف الشَّيخ محمَّد صالح الفرفور أحد تلامذة الشَّيخ محمَّد بدر الدين الحسني: إنَّ غورو زار الشَّيخ في دار الحديث، وانتظر ساعة كاملة في غرفة فارغة، وحينما قَدِمَ الشَّيخ وقف غورو احترامًا له، ثمَّ طلب من الشَّيخ تَهْدِئَة الأوضاع، وإلزام المجاهدين بالتّراجع عن إضرام النّار، فأجابه الشَّيخ قائلًا: «لا تهدأُ هذه الثَّورة إلّا بخروجكم، وأنتم جئتم لتعليمنا، وتثقيفنا فيما تزعُمون... فقد تَعَلَّمنا وتَثَقَّفنا، فلم نَعُدْ نحتاج إلى شيءٍ»...[٤]. ومع هذه المواقف الجليلة لم يكن أمام السُّلطات الفرنسيّة إلَّا أنَّ تقدم اعْتِراضًا ضد الشَّيخ في تقريرها إلى عُصْبَة الأمم[٥]، لكنَّ ذلك لم يكن له شأن يذكر، ولم يوقف العلماء عن متابعة الأعمال السِّياسيَّة، والعسكريَّة، والوقوف جانب المجاهدين في ساحات المعارك.

وقد أدّى بعض العلماء السُّوريّين دورًا سياسيًّا في مُقاومة الفرنسيّين عبر الاشتراك في التَّجهيزات الخاصة بالثَّورة، واشتهر منهم الشَّيخ محمد حجازي كيلاني، والشَّيخ

١. الفرفـور، محمّد صالح، المحدث الأكبر وإمام العصر، ص١٢٩-١٣٣. ذكريات علي الطنطاوي، ج١، ص٢٨٢-٢٨٤. رجال من التاريخ، م.س، ص٣٩٢-٣٩٣.

٢. وُلِد في الشّـاغور، واشـتغل في نطارة بعض أراضي الشّـاغور، ثمَّ عين حارسًـا في مديرية شرطة دمشق، وعرف بأعماله الجهاديَّة في معارك الغوطة ضدّ الفرنسيّين. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٥٤-٣٥٥.

٣. المحدث الأكبر وإمام العصر، م.س، ص١٣٦.

٤. م.ن، ص١٣٥.

5. République Francaise Ministère Des Affaires Ètrangères 1925: P.10.

زكي الشّربجي (١٣١٧-١٣٤٥هـ/ ١٨٩٩-١٩٢٦م)[١]، والشَّيخ موسى الطّويل (١٢٧٧-١٣٧٢هـ/ ١٨٦٠-١٩٥٢م)[٢] وعملوا على مراقبة الأوضاع السِّياسيَّة، والعسكريَّة المُفيدة لسير الثّورات، ونقلها للمجاهدين. كما أسهم كلّ من: الشَّيخ عربي الخيمي، والشَّيخ عبد الوهاب العرجا، والشَّيخ نديم شهاب في تقديم المُساندات في بعض الأحداث السِّياسيَّة، منها: مُساندة أحد زعماء الثّورة من الخروج من منزله، والانضمام إلى الثّوّار رغم تشديد السُّلطات الفرنسيّة الحصار على منزله، فتعرض هؤلاء العلماء نتيجة هذه المساندة لأشدّ أنواع التَّعذيب، والتَّنكيل من السُّلطات الفرنسيّة[٣].

وفي ثورات البوكمال الّتي اشتدَّت في العام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، فقد جهز الشَّيخ مشرف محمَّد دندل (١٢٩٢-١٣٧١هـ/ ١٨٧٥-١٩٥١م)[٤] خطط لسير العمليّات السِّياسيَّة، والعسكريَّة، وبعد انتهاء التَّجهيزات اللاّزمة أعلن رسميًّا الثَّورة ضدّ الفرنسيّين، وأقدَّم على تسليح المجاهدين المنضمّين إلى الثَّورة، ممّا أدَّى إلى إصدار السُّلطات الفرنسيّة أمرًا بإعدامه[٥].

٢. الدّور الدَّعوي

انتهج العلماء كُلَّ الطُّرق، والوسائل في سبيل حثّ أفراد المجتمع على مُقاومة الفرنسيّين، وتبَدَّى دورهم الدَّعوي في المعارك، والثَّورات، ففي ميسلون قام الشَّيخ محمَّد

١. وُلِد في الشاغور، وتتلمذ على يدي كل من الشَّيخ محمّد بدر الدين الحسني والشَّيخ علي الدقر. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٠٩.

٢. وُلِد في دمشق، وبرع في تبحره بالعلوم الشرعيّة بعد تحصيلها على أيدي بعض العلماء منهم الشيخ عبد الحكيم الأفغاني. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧١.

٣. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٣٥، ٣٨٤، ٥٠٩، ٥٧١.

٤. شيخ عشيرة العگيدات في البوكمال (مدينة في دير الزُّور)، عرف بمشاركاته البطولية في التهيؤ والإعداد للثورات الجهاديَّة في البوكمال ضد الفرنسيّين. النِضَال القومي لدير الزُّور، م.س، ص٨٤-٨٥. القزويني، معز الدين محمّد المهدي الحسيني، أسماء القبائل وأنسابها، ص١٨٦-١٨٨.

٥. تاريخ دير الزُّور، م.س، ص١١٦-١١٧. النِضَال القومي لدير الزُّور، م.س، ص٨٤-٨٥.

كامل القصاب بالخطابة في الشّوارع مُشجِّعًا على الانضمام للثَّورات[١]، كما تمكَّن الشَّيخ كمال الخطيب بخطبه من حشد عدد وافِر من المُتطوِّعين بعد تهيئة نفوسهم للجهاد[٢].

وفي ثورات دير الزُّور تَصَدَّى الشَّيخ محمَّد سعيد العرفي (١٣١٤-١٣٧٥هـ/ ١٨٩٦-١٩٥٦م)[٣] للسُّلطات الفرنسيّة منذ تغلغُلها في دير الزُّور، وأخذ يدعو طلبته للمُشاركة في الجهاد، والانضمام للثَّورات، فدفع العرفي ثمن دوره الدَّعوي غاليًا إذ أقدَّمت السُّلطات الفرنسيّة في العام (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) بسجنه، ومن ثمَّ حكمت عليه بالنَّفي[٤].

ولمَّا نشبت الثَّورة السُّوريَّة الكبرى تَوَجَّه وفد إلى قرية شقرا (جنوب لبنان) قاصدين السيِّد محسن الأمين العاملي الحسيني (١٢٨٤-١٣٧١هـ/ ١٨٦٧-١٩٥٢م) يَستفتونَهُ بالمشاركة في الثَّورة، فأفتى لهم قائِلًا: «الآن وجب الجهاد، وعليكم حمل السِّلاح، ومشاركة الثَّائرين في الثَّورة على الفرنسيّين، ومن لا يستطيع أن يجاهد في نفسه، فعليه أن يجاهد في ماله»، وبعدما عاد الوفد إلى دمشق أبلغوا الفتوى لمجاهدي حيّ الأمين، فانخرط عدد هائِل منهم في الأعمال الجهاديَّة في الغوطة[٥].

ومن العلماء الّذين بَدَا دورهم الدَّعوي، والجهاديّ بشكل جَلِيّ الشَّيخ محمَّد بدر الدّين الحسنيّ، وذلك بتهيئة طلابه للانضمام إلى الثَّورة، وبحثّ النَّاس في خطبه، ومجالسه العلميَّة، وفي رحلاته على وجوب الجهاد، والمشاركة في الثَّورة[٦]، وعلى نحو

---

١. رجال من التاريخ، م.س، ص٤١٠.

٢. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج١، ص٣٨١-٣٨٣. فاجعة ميسلون والبطل العظيم يوسف العظمة، م.س، ص٣٤٠.

٣. وُلِد في دير الزُّور، وتتلمذ في مدراسها، ثمَّ تبحر في بالفقه الإسلامي، والحديث النّبوي، واللّغة العربيّة على أيدي علماء عصره، وتولىّ التّدريس في بعض مدارس دير الزُّور جانب منصب الإفتاء هناك. صفحات منسيّة عن بطولات أبناء دير الزُّور، م.س، ص١١٥.

٤. صفحات منسيّة عن بطولات أبناء دير الزُّور، م.س، ص١١٥. الحركة الثّقافيّة في محافظة دير الزُّور خلال القرن العشرين دراسة وبيلوغرافيا، م.س، ج١، ص١١٤. ج٣، ص١٢٦-١٢٧. تاريخ دير الزُّور، م.س، ص٢٦٩-٢٧١.

٥. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٣٤٨.

٦. المحدث الأكبر وإمام العصر، م.س، ص١٢٩-١٣٣. كفاح الشعب العربي السوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكريّة تاريخيّة، م.س، ص١٣٧.

مماثل، فقد أدّى الشَّيخ محمَّد علي الدّقر (١٢٩٤-١٣٦٢هـ/ ١٨٧٧-١٩٤٣م)[١] دورًا دعويًّا عظيمًا في خطاباته في مسجد السّنانيّة مُحفّزًا النَّاس على مساندة المجاهدين بكلّ ما يحتاجونه موضّحًا مخاطر السُّلطات الفرنسيّة عبر قوله: «يا إخواننا، اللِّص دخل الدّار وهو يطلب منكم ثلاثة أشياء: دينكم، ومالكم، وعرضكم، ولمَّا سأله أحد المستمعين: ومن هو هذا اللِّصُّ يا شيخي؟ أجاب: إنَّه فرنسا»[٢]، ومنهم أيضًا الشَّيخ محمَّد الديراني (١٣٠٠-١٣٥٤هـ/ ١٨٨٣-١٩٣٥م)[٣] الّذي لم يدعُ النَّاس إلى الجهاد فحسب، وإنَّما كان يُمسِك الطَّلقات النَّاريَّة في أثناء خطبه قائلاً: «إخوانكم بحاجة إلى مثل هذا»[٤].

ومن العلماء الّذين جاهروا في دعوتهم الجهاديَّة الشَّيخ محمَّد هاشم الخطيب (١٣٠٤-١٣٧٨هـ/ ١٨٩٠-١٩٥٨م)[٥]، والشَّيخ محمَّد نجيب كيوان (١٢٨٧-١٣٥٢هـ/ ١٨٧١-١٩٣٤م)[٦]، والشَّيخ محمود صالح الخطيب (١٢٩٣-١٣٦٠هـ/ ١٨٧٦-١٩٤١م)[٧]، والشَّيخ عبد الحميد كريم (١٣١٧-١٣٩٦هـ/ ١٨٩٩-١٩٧٦م)[٨]،

١. وُلِد في دمشق، وتلقى العلم في من المدارس والمساجد، ولازم الشّيخ محمّد بدر الدّين الحسني، والشيخ محمّد القاسمي، ولما توفيّ القاسمي شرع يعلم الطّلبة في جامع سنان باشا، ثمّ أسّس «الجمعيّة الغرّاء» وألحق فيها عددًا من المعاهد، والمدارس لتدريس طلاب العلم. رجال من التاريخ، م.س، ص٣٨٧-٣٩٤.

٢. كفاح الشعب العربي السوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكريّة تاريخيّة، م.س، ص١٣٧.

٣. وُلِد في داريا (في ريف دمشق)، وتلقّن العلوم الشّرعيّة على يد الشَّيخ محمّد بدر الدين الحسني. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٢.

٤. الإسلام وحركات التّحرّر العربية، م.س، ص١٦١.

٥. وُلِد في دمشق، ولازم علماءها لتحصيل العلوم الشّرعيّة، ثمّ درس في عدد من المدارس، ولزم دار الحديث الأشرفيّة، ثمَّ تولى الخطابة في جامع سنان آغا، والتّدريس في الجامع الأموي. تاريخ علماء دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٧١٠-٧١٤.

٦. وُلِد بحي مئذنة الشّحم (في دمشق)، وقرأ العلم على علماء عصره، ثمّ شرع بتدريس العلوم الشّرعيّة عامّة، والفقه الحنفي خاصّة في الجامع الأموي وفي جامع النّورية. المرعشلي، يوسف، نثر الجواهر والدّرر في علماء القرن الرابع عشر، ص١٥٠٨.

٧. وُلِد في عربين، وأخذ العلوم الشّرعيّة على يدي كلّ من الشَّيخ محمّد بدر الدين الحسني والشَّيخ علي الدقر، وشارك في معارك الغوطة. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٣.

٨. وُلِد في حي العقيبة، وبعد تحصيل العلوم الشّرعيّة تولى التّدريس في المدرسة الكامليّة، ثمَّ أسّس مدرسة النّهضة العلميَّة، وتولّى الخطابة في جامع الشّاميّة. تاريخ علماء دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٩١٧.

والشَّيخ صلاح الدين الزعيم (١٣٠٠-١٣٩٠هـ/ ١٨٨٢-١٩٧١م)[١]، فكانوا يحضّون النَّاس على الإسهام في الثَّورة، ويؤكِّدون الأعمال الوحشيَّة الفرنسيّة، ويوجِّهون النَّاس نحو الطَّريق الحقِّ، أي: طريق التَّطوُّع للجهاد في سبيل الله[٢].

وممَّا توضّح من حرص العلماء على الجهاد أنَّه لمَّا كانت الطَّائرات الفرنسيّة في إحدى الأيَّام تقصف دمشق بشدَّة قَدِمَ عدد من الرّجال إلى الشَّيخ عبد المحسن الأسطواني (١٢٧٥-١٣٨٣هـ/ ١٨٥٩-١٩٦٣م)[٣] والتمسوا منه الذَّهاب إلى الجامع الأموي للدُّعاء على السُّلطات الفرنسيّة، فأثار هذا الطَّلب غضب الشَّيخ، فقال: «الدُّعاء على الأعداء في المساجد صنيع المُقعدين، والعدو بحاجة إلى مُقاومة، فإلى السِّلاح»[٤].

وفي ثورات حمص اشتهر من علمائها الشَّيخ محمَّد حسني السّباعي (١٣٠٦-١٣٨١هـ/ ١٨٨٩-١٩٦١م)[٥] فقد كان يجول الشَّوارع مع ثُلَّة من العلماء يدعون النَّاس إلى: حمل السِّلاح، والانضمام إلى الثَّورة[٦]. وفي معارك التَّحرير في العام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م كان الشَّيخ محمَّد محمود الحامد (١٣٢٨-١٣٨٩هـ/ ١٩١٠-١٩٦٩م)[٧] يحث أُبناء حماة على الانضمام للجهاد لتحرير الأراضي السُّورِيَّة[٨]، كما كان الشَّيخ

١. وُلِد في يبرود، وأخذ العلوم الشّرعية في: حلب، ودمشق، والقاهرة، ثمَّ تولّى بعض المناصب العلميَّة، والدّينيّة منها مهمة الإرشاد بين سورية ولبنان. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٨٧٨-٨٨٨.

٢. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص٥٧٣. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٧١١، ٩١٧. الإسلام وحركات التحرر العربية، م.س، ص١٦٠-١٦٢.

٣. وُلِد في دمشق، وتتلمذ على أيدي علماء دمشق، ثمّ تولّى بعض المناصب السّياسيّة، والدّينيّة منها أمانة الفتوى في دمشق، ورئيسًا في مجلس الشّورى. رجال من التاريخ، م.س، ص٤٣٣-٤٣٧.

٤. السباعي، مصطفى، سماحة العلامة الشيخ عبد المحسن الأسطواني شيخ المعمرين في بلاد الشام، ص٣.

٥. وُلِد في حمص، وأخذ العلوم الشّرعيّة عن علماء عصره، ثمَّ تولى الخطابة في الجامع النوري. السّباعي، مصطفى، حسني السباعي، ص١٠٣-١٠٧.

٦. حسني السباعي، ص١٠٤-١٠٥.

٧. وُلِد في حماة، وأخذ العلم في مدرسة دار العلوم الشّرعيّة، ثمّ انتقل إلى الأزهر لمتابعة دراسته، وبعد العودة تولّى عددًا من المناصب الدّينيّة، منها: الخطابة في جامع السّلطان في حماة. الحامد، عبد الغني، أخي كما عرفته، ص١٠-١٤.

٨. م.ن، ص١٢.

حسين السراج (٠٠٠٠-١٣٨٦هـ/ ١٩٠٧-١٩٦٧م)[١] يحثُّ أبناء دير الزُّور على حمل السِّلاح، ويبثُّ في قلوبهم حماسًا للجهاد، وبالفعل فقد اندفعوا للقتال بكل ما أوتوا من قوة وعون من الله تعالى حتَّى صنعوا بالقوّات الفرنسيّة مجزرة خلدها التَّاريخ[٢].

٣. الدّور الاقتصاديّ

أدرك العلماء مدى اعتماد فرنسا على اقتصادها مثلها كمثل بقيّة الدُّول في أرجاء العالم، ومدى أهمّيّة الدُّول العربيَّة في تَعاظم اقتصادها، أو تَواضعه بحسب العلاقات السِّياسيَّة بينهم، فسعوا جاهدين إلى مقاطعة المنتجات الفرنسيّة، وكان منهم الشَّيخ الدّكتور توفيق الخطيب (١٢٩٤-١٣٥٥هـ/ ١٨٧٧-١٩٣٦م)[٣] الّذي فرض على النَّاس مقاطعة المنتجات الفرنسيّة مؤكدًا مخاطر الاعتماد عليها في تدعيم الاقتصاد الفرنسيّ، وتمكين السُّلطات الفرنسيّة من متابعة قصفها للأراضي السُّوريَّة، ومقاتلة الثّوّار، والنّصر عليهم[٤]، ومن الواضح أنّ هذه المساعي أقدمت ولو بشكل بسيط بالرّدّ على السّياسة الفرنسيّة عبر مقاطعة بضائعها، والإحجام عن شرائها، ومع عدم تَأْدِيَة هذه المقاطعات انهيار كامل للاقتصاد الفرنسيّ؛ إلاّ أنَّها أسهمت في إضعافه، ولو بحدوده الدّنيا.

الدّور الاجتماعيّ والإنسانيّ

قام العلماء السُّوريّون بدور متميِّز عبر مدِّ يد العون، ومُساندة المُجاهدين، والثُّوّار، والأدلَّة على ذلك متنوِّعة، ففي ثورة هنانو أبدى الشَّيخ طاهر الرّفاعي (١٢٨٩-١٣٤٥هـ/ ١٨٧٢-١٩٢٦م)[٥] فاعليّة عظيمة في مناهضة السُّلطات الفرنسيّة، وحينما اشتعلت الثَّورة

١. وُلِد في دير الزُّور، وتابع تعليمه في المدرسة الابتدائيّة، ثمّ لزم كلّ من الشَّيخ حسين الأزهري، والشَّيخ محمّد سعيد العرفي حتى أجيز، وولي تدريس العلوم الشّرعيّة في عدد من المدارس والمساجد هناك. تاريخ دير الزُّور، م.س، ص٢٨٠-٢٨٣.

٢. تاريخ دير الزُّور، م.س، ص٧٦، ٧٨. صانعوا الاستقلال يستحقّون تخصيصهم برواتب شهريّة أسوة بزملائهم في المحَافظات الأخرى، ص٣.

٣. وُلِد في دمشق، وتتلمذ على كبار علمائها، ثمّ تولىّ التّدريس، والخطابة في بعض الجوامع، ومنها الجامع الأمويّ، وانتقل إلى استانبول، ودرس الطّبّ هناك، وبعد عودته إلى موطنه افتتح عيادة قُرب من منزله لمعالجة المرضى. تاريخ علماء دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري، م.س، ج١، ص٤٩٥-٤٩٦.

٤. م.ن، ج١، ص٤٩٥-٤٩٦.

٥. وُلِد في حلب، ونشأ بها، وتلقّى العلوم الشّرعيّة عن كبار علماء حلب، واشتهر ببطولاته الجهاديَّة جانب المجاهدين.

قدَّم لها الدّعمين المالي، والمعنويّ، وساندها بنفوذه حتّى عدَّ من أعظم المؤازرين لها، واستمرَّ في دوره الدَّاعم للمجاهدين حتّى وفاته[١].

كما قام الشَّيخ طراد الملحم (٠٠٠٠-١٣٧٢هـ/ ٠٠٠٠-١٩٥٢م)[٢] باستضافة عدد من الثُّوّار المشاركين في ثورة هنانو من المطلوبين للسُّلطات الفرنسيّة، وحمايتهم، فأذاعت الأخيرة أنها ستقدِّم مبلغًا ماليًا يقارب ٥٠٠ ليرة ذهبيّة لقاء إلقاء القبض على كلّ مجاهد في الثَّورة، لكنَّ الشَّيخ هيَّأ لهم الحماية التَّامَّة من أعين الأعداء الطَّامعين بهذا المبلغ المالي، واستمرَّ في استضافتهم إلى أن تهيَّأت الظُّروف المُلائمة لإيصالهم إلى مناطق آمنة[٣].

ومن الأدوار الإنسانيَّة العظيمة يُلاحظ دور الشَّيخ عبد الكريم آل رستم (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٤] في الشَّهادة لصالح هنانو عند محاكمته، فلضمان دخوله إلى المحكمة قبل شكليًّا طلب الفرنسيّين للشَّهادة ضدَّ هنانو، لكنَّه عندما وقف للإدلاء بشهادته كانت منصبّة في مصلحة هنانو[٥]، ومنهم أيضًا الشَّيخ محمَّد علي القصاب (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٦] عندما جعل بيته بمنزلة مخزن لأسلحة الثُّوّار، وعتادهم، وبذل مجهودًا في تقديم الأغذية للمجاهدين، والعلف لخيولهم، فأثارت أدوار هؤلاء العلماء غضب الفرنسيّين، وتعرَّضوا لأشدّ أنواع التَّعذيب[٧].

وفي معركة ميسلون ظهر من بين العلماء الشَّيخ عيد الحلبي (١٢٨٠-١٣٦٦هـ/

تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٢٦.

١. م.ن ص١٢٦.

٢. وُلِد في حمص، وتولى زعامة عشيرة الحسنة نيابةً عن والده، وعرف بمواقفه المأثورة ضد المستعمر الفرنسي. م.ن، ص٣٣٠-٣٣١.

٣. م.ن، ص٣٣١.

٤. وُلِد في قرية عاموده (في ناحية دركوش- إدلب)، ونشأ بها، واشتهر بحكمته وبراعته في حل المشاكل والقضايا. م.ن، ص١٤٦-١٤٧.

٥. م.ن، ص١٤٧.

٦. وُلِد في معرة الخوان (في معرة مصرين - حلب)، وتولى زعامة عشيرة الدروز في حلب. م.ن، ص١٣٥.

٧. م.ن، ص١٣٥، ١٤٧.

١٨٦٣-١٩٤٦م)[١] الّذي أسرع لتقديم العون للمتطوّعين في المعركة، وأسهم في جمع الأسلحة لهم، وشجع النَّاس على إمداد الثّوّار بالمعونات الماليَّة اللاَّزمة لسير المعركة، فعرضته هذه المساهمات إلى إصدار السُّلطات الفرنسيّة حكمًا بإعدامه[٢].

وبرز في الثَّورة السُّوريَّة الكبرى من العلماء الشَّيخ نعمان زاكية (١٢٥٩-١٣٤٤هـ/ ١٨٤٣-١٩٢٥)[٣] عندما قام بمساندة مجاهدي الثَّورة السُّوريَّة الكبرى في ثوراتهم الأولى عبر استقبالهم، ومؤازرتهم بكلّ ما يحتاجونه، ولم يكتفِ بذلك، وإنَّما قام بإسعاف المجاهدين الجرحى إلى منزله، ومعالجتهم، فما كان من القوّات الفرنسيّة إلاَّ أن قتلت الشَّيخ مع أفراد أسرته[٤].

وفي ريف دمشق قام الشَّيخ زكي الشّربجي بدور فعَّال في تسليم تبرُّعات العلماء، والأهالي إلى الثُّوّار من: سلاح، وعتاد، ومؤن، ومستلزمات علاجيَّة ...إلخ، ولم يقتصر دوره على ذلك، وإنَّما دفع من ماله الخاص ثمن بعض الإمدادات إلى درجة أنَّه صرف كلَّ ثروته في سبيل تقديم الدّعم للثَّورة[٥]، وأسهم أيضًا الشَّيخ رشدي الخجا (١٣١١-١٣٥٩هـ/ ١٨٩٣-١٩٤٠م)[٦] في مؤازرة المُجاهدين بشكل سرّي عبر تأمين الأسلحة، والعتاد، والذَّخائر لهم[٧]، كما سلَّم الشَّيخ عبد الله الأفغاني (٠٠٠٠هـ/ ٠٠٠٠م)[٨] الثُّوّار أنواعًا من الأسلحة، والذّخيرة المُرسلة عن طريق الشَّيخ محمَّد بدر الدّين الحسني[٩]، وقام أيضًا كلٌّ من الشَّيخ الدّكتور توفيق الخطيب، والشَّيخ الدّكتور مدحت شيخ الأرض

١. وُلِد في حي القيمرية (في دمشق)، وتلقن العلوم الشرعية عن أعلام عصره ثم ولي الإمامة في حيه. تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، م.س، ص١٧٢.

٢. م.ن، ص١٧٢.

٣. وُلِد في بلدة راشيا (في البقاع) وترعرع بها، وولي الزعامة بها. م.ن، ص٢١٤.

٤. م.ن، ص٢١٤.

٥. م.ن: ص٥٠٩.

٦. وُلِد في حي القنوات، وتتلمذ على أيدي كبار علماء دمشق، وتبحر في التصوف. م.ن، ص٥٠٢.

٧. م.ن، ص٥٠٢.

٨. وُلِد في دمشق، وبها نشأ، ولازم الشّيخ محمّد بدر الدّين الحسني في دار الحديث الأشرفيّة، وعمل في خدمة الشّيخ في الدّار. الإسلام وحركات التّحرّر العربية، م.س، ص١٦٢.

٩. م.ن، ص١٦٢.

بمُعالجة الجرحى من الثُّوّار في الغوطة[١].

وقد اشترك الشَّيخ محمَّد صالح الفرفور في تقديم أنواع الدّعم كافَّة لإخوانه للمجاهدين في الغوطة عند اشتداد المعارك بينهم، وبين القوّات الفرنسيّة، وقد روى إحدى المواقف الّتي جرت معه عند إمداده للمجاهدين بالأغذية، بعد أن قلّت عندهم إثر اشتداد المعارك، والقصف المتزايد، وندرة الأغذية في أماكن المعارك، قائلاً:

«... وحملتُ معي أرغفةً من خبز لففت بها صدري، وظَهري، وما أمكن من جسمي، فلمّا وصلتُ إلى الباب الشّرقيّ لمدينة دمشق في آخر محلّة القصاع، اعترضني ضابط فرنسيّ واقف على نقطة المرور، وطلب إليَّ تفتيشي، فأجبته، فمدَّ يده على صدري، فقبض على الخبز داخل ثيابي فالتفت إليَّ، وبيده المسدَّس موجَّه إلى صدري، وقال: (ما هذا)؟ ولا تغيَّر لوني بل أجبته بكلّ جرأة عالماً أنّ الأجل محتوم، وأنّ الخوف لا يُنجي من القدر، فقلت: (هذا خبزٌ، ومعي أيضًا قطعة من الجبن). وأخرجتُها من داخل منديل بيدي فرآها الرّجل، وبجانبه اثنان من المقتولين منهم رجل أعرفه من محلّة العقيبة اسمه «الشَّيخ صدّيق». لكنَّ الرجل أَلْجمه الله (عزّ وجلّ)، وصَرف قلبه عمّا يريد، ومرَّت به سحابة نخوة، فقال لي وهو يربّت على كتفي يعني: (اذهب وكُلْها مع رفقائك العِصَابَة)»...[٢].

ومن المشاركات القيِّمة الّتي توضّح شجاعة العلماء في نصرة إخوانهم المجاهدين يلاحظ دور الشَّيخ محمَّد ديراني عندما كان يجهّز جنازة غير حقيقيَّة، ويملأ الشَّيخ النَّعش بالأسلحة والذّخائر، وفور وصوله إلى المقبرة يفرِّغ ما بداخل النّعش في إحدى القبور الفارغة بالاتِّفاق مع المُجاهدين، فيأتي عدد من المجاهدين ليلاً لاستلامها، ومتابعة أعمالهم الجهاديَّة[٣].

١. الإسلام وحركات التّحرّر العربية، م.س، ص٥٧٥. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج١، ص٤٩٦.

٢. المحدث الأكبر وإمام العصر، م.س، ص١٤٠.

٣. الإسلام وحركات التحرر العربية، م.س، ص١٦١.

٤. الدّور الثّقافي والفكري

بذل العلماء دورًا ثقافيًا، وفكريًا رائعًا في مواجهة الانتداب الفرنسيّ، وشرعوا يحثُّون النَّاس على مُقاومة السُّلطات الفرنسيّة، ومساعيها الاستعماريّة في التَّغريب، والتَّجزئة، والانفصال، واشتهر من بين هؤلاء العلماء الشَّيخ محمَّد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ/ ١٨٦٥-١٩٣٥م)[١] عندما انتقل إلى مصر بعد دخول الفرنسيّين الأراضي السُّوريَّة، وشرع يحثّ النَّاس عبر مقالاته على مُقاومة سلطة الانتداب، وفي إحدى مقالاته ذكر أنَّ الحكومة السُّوريَّة كانت: «أقرب إلى العدل، والحرّيّة، والمساواة، والإصلاح، وأبعد عن التَّعصُّب، والمُحاباة، والافساد الأدبيّ، والاقتصاديّ من حكومتيّ الدَّولتين اللّتين ابتدعتا لنا بدعة الانتداب لإصلاح بلادنا بحجَّة أنَّنا عاجزون عن النُّهوض بأمر أنفسنا»[٢].

وعلى نحو مماثل، يلاحظ أنَّ الشَّيخ محب الدّين الخطيب (١٣٠٣-١٣٨٩هـ/ ١٨٨٦-١٩٦٩م)[٣] نشر في بعض المجلَّات، والصُّحف مقالات حول مناهضة السِّياسة الفرنسيّة، وتأييد الأعمال الجهاديَّة، والوطنيّة ضدَّهم، وعرض في إحدى مقالاته الوصايا الواجبة على المسلمين، ومنها: أن يعملوا بالأسباب الّتي أنهضت الدُّول المُتقدِّمة، ومنها: اقتباس العلوم الجديدة الّتي تعزّز من النَّهضة وتقوِّيها، بشرط الحفاظ على كلّ ما هو قديم؛ لأنَّ «تركه يؤدِّي إلى الانسلاخ قوميًا وموليًا»[٤].

وإبَّان متابعته الأحداث السِّياسيَّة أظهر غضبه الشَّديد من التَّآمر الفرنسي-البريطاني-التركي لسلخ لواء إسكندرون عن الأراضي السُّوريَّة، وذكر أسباب حزنه، وتأثُّره بهذا السَّلخ من خلال

---

١. وُلِد في القلمون (جنوب طرابلس الشّام)، وأخذ العلم في بعض المدراس، ثمَّ لازم علماء دمشق، وانتقل إلى الأزهر لمتابعة تعليمه، ولما عاد إلى موطنه تولّى التّدريس، والإرشاد، والوعظ في طرابلس الشّام، ثم انتقل إلى مصر، وأسس هناك مجلّة المنار، وجمعيّة الشّورى العثمانيّة. محمّد شاكر، أحمد، أستاذنا حجة الاسلام السيد محمّد رشيد رضا، ص٣١٨-٣٢٣.

٢. رضا، محمّد رشيد، الرحلة السورية الثانية، ج٤، ص٣١٣-٣١٤.

٣. وُلِد في حيّ القيمريّة، وأخذ العلم في بعض المدارس الدّمشقيّة، ولازم العلماء للتبحّر بالعلوم الشّرعيّة، ثمّ انتقل لإستانبول، ودرس الآداب، والحقوق، واستلم التّحرير في بعض الصّحف في دمشق والقاهرة، ثمّ أسّس جريدة الفتح. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، م.س، ج٢، ص٨٤٧-٨٥٨.

٤. الخطيب، محب الدين، إلى إخواني شباب دمشق بمناسبة تأسيس جمعيّة الشباب المسلمين فيها، الفتح، ص١-٢.

عرض سلبيَّاته، واستمرّ في الدّفاع عن عُروبته[١] مستشهدًا بما قاله سلطان باشا الأطرش: «إنَّ الوحدة العربيَّة أصبحت ضرورة قوميَّة، ولا حياة للنَّاطقين بالضَّاد إلاّ بتحقيقها»[٢].

كما ذكر الشَّيخ علي الطّنطاوي (١٣٢٧-١٤٢٠هـ/ ١٩٠٩-١٩٩٩م)[٣] في معرض حديثه عن كيفيّة إدراك طلبة العلم لخطر الاستعمار قائلاً: «...نظر الطّلاب في دمشق، فإذا يدٌ غريبة تلعب بمعارف بلادهم، وإذا هي أشبه بالسّفينة العظيمة يراها الرّائي، فيحسب أنّ لها عقلاً يسوقها، وإرادة تسيّرها، ولكنّه يقترب منها، فيرى شيئًا صغيراً ليس منها في شيء يسوقها، ويصرّفها كما يشاء»...[٤] ثمَّ عرض في حديثه مساعي هؤلاء الطَّلبة في مُقاومة الاستعمار، ومناهضته، وشرع يوجِههم بقوله: «...سيروا إلى غايتكم قُدُمًا بهمّة عظيمة، وإيمان قوي»...[٥]، وأكمل نصيحته للطّلاب بقوله: «...وثابروا على عملكم، وأفهموا العالم كلّه أنكم طلاَّبٌ بَرَرة بماضيكم، وأمّتكم، وأنّكم لا تنقضون لها عهدًا، ولا تبخلون عليها بشيء، والله ناصركم، ومؤيّدكم»...[٦]. وبذلك، فقد تمكَّن العلماء بفضل ما نشروه من مقاومة سياسة الاستعمار، والتَّغريب، وتأييد الحرّيّة، وكشف مخاطر الاستعمار للأراضي العربيَّة جانب معالجة مشاكل هذه الأراضي بمختلف مجالات الحياة.

١. الخطيب، محب الدين، العبرة في مسألة الأسكندرونة، الفتح، ص٣. الخطيب، محب الدين، النّتائج الأولى لتتريك الإسكندرونة، الفتح، ص٣-٤.

٢. العبرة في مسألة الاسكندرونة، الفتح، م.س، ص٤.

٣. وُلِد في دمشق، وأخذ العلم في المدارس، والمكاتب الدّمشقيّة، وأكمل دراسته الجامعيّة، وأجيز بالحقوق، واهتمّ بالقلم، وعمل في كتابة المقالات في بعض الجرائد إلى جانب ممارسة مهنتيّ التّدريس والقضاء. مكي، مجد، علي الطنطاوي من حماة الإسلام، ص٢-٣.

٤. الطنطاوي، محمّد علي، طلاب دمشق بشرى عظيمة ونهضة كبرى، الفتح، ص١٤.

٥. م.ن، ص١٤.

٦. م.ن، ص١٤.

خاتمة

عدَّ العلماء من أوائل من شجَّع أبناء المجتمع، وحثَّهم على مقاومة السُّلطات الفرنسيّة، فانتهجوا كلّ الطُّرق، والوسائل بدمائهم، وألسنتهم، وأقلامهم انطلاقًا من حبّهم للوَّطن، ومن الإيمان الّذي يحفّزهم على مقاومة المستعمر الفرنسيّ.

لم يقف دور العلماء على الدَّعوة في خطاباتهم للجهاد في المساجد، وإنَّما قادوا بأنفسهم بعض المعارك، والثَّورات، وفي بعضها كانوا في الصُّفوف الأولى أمام القوّات الفرنسيّة للدِّفاع عن الوطن، وفي معارك أخرى كانت القيادة للسِّياسيِّين، والمُحاربين المعروفين بخبرتهم في إدارة الثَّورة، فشارك العلماء جانبهم مدفوعين في ذلك من عدم الاهتمام بمناصبهم في الثَّورة، أو بالسُّمعة، والشّهرة، بل سعيًا منهم في الدِّفاع عن الأراضي السُّورِيَّة.

فاق دور العلماء غير المباشر في مواجهة الانتداب الفرنسيّ في بعض المعارك، والثَّورات الدّور المباشر، وبخاصَّة لدورهم في يقظة أبناء المجتمع على ما يجري من أحداث سياسيَّة، ومن مخاطرها الّتي من شأنها التَّأثير سلبًا في مجالات الحياة كافّة.

لم يقتصر دور العلماء في تحفيز النَّاس على التَّبرُّع، وتقديم المُساعدات للثّوّار، بل كانوا من أوائل من أمدُّوا الثَّورات بها.

دفع العلماء ثمنًا باهظًا؛ بسبب وقوفهم أمام السِّياسة الاستعماريّة الفرنسيّة، فمنهم من فَضَّل الشَّهادة في سبيل الله، ومنهم من حكم عليه بالإعدام، فآثر الهجرة، ومنهم من نفي خارج وطنه، ومنهم من سجن، ومنهم من ضيّق عليه، وتعرَّض لأشدّ أنواع التَّعذيب، والتَّنكيل، ومنهم من ترك مناصبه العلميّة، والدّينيّة لصدّ القوّات الفرنسيّة، وعلى الرّغم ممّا تعرَّضوا له إلاّ أنّ ذلك لم يقلِّل من إصرارهم على محاربة الفرنسيّين.

لم تبعد هجرة العلماء السُّوريّين إلى دول أخرى إبَّان الانتداب الفرنسي عمَّا يجري من أحداث سياسيَّة في موطنه، بل استمرُّوا في الدِّفاع عن حرّيّة موطنهم، ونصرته بكلّ ما أتيح لهم من وسائل، ولاقت جهودهم نتائج ملحوظة في مقاومة السِّياسة الاستعماريّة.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربيّة

١. أبو خليل، شوقي، الإسلام وحركات التحرر العربية، ط١، دار الرشيد، دمشق، ١٩٧٦م.

٢. أبي راشد، حنا، جبل الدروز، مكتبة زيدان العمومية، ط١، مصر، ١٩٢٥م.

٣. الأرمنازي، نجيب، محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، د.ط، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٣م.

٤. آل جندي، أدهم، أعلام الأدب والفن، د.ط، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق، ١٩٥٤م.

٥. ـــــــــــــ، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، د.ط، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٦٠م.

٦. الحافظ، محمد مطيع، أباظة، نزار، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، قدم له شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ٦١٩٨م.

٧. الحكيم، يوسف، سورية والانتداب الفرنسي، ذكريات، دار النهار للنشر، بيروت، د.ط، (د.ت).

٨. ـــــــــــــ، سورية والعهد الفيصلي، ذكريات، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

٩. الخانجي، نشأت جميل شاكر، ثوار صنعوا الاستقلال صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية، مذكرات وأوراق المجاهد جميل شاكر الخانجي (١٨٩٨-١٩٧٦م)، ط١، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.

١٠. ذكريات علي الطنطاوي، ط٥، دار المنارة، جدة، ٦٢٠٠م.

١١. رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢١م.

١٢. رضا، علي، قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء، د.ن، د.م،

د.ط، ١٩٧٧م.
١٣. الرويلي، محمَّد رشيد، الحركة الثقافية في محافظة دير الزُّور خلال القرن العشرين دراسة وبيلوغرافيا، ط١، دار صائب للنشر والتوزيع، دير الزُّور، ٢٠٠٣م.
١٤. زرزور، فارس، معارك الحرية في سورية، ط١، دار الشرق للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٦٢م.
١٥. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمسعربين والمستشرقين، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٦. سراي، سكوت، حقائق ووثائق لم تنشر بعد عن الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، د.ن، باريس، د.ط، ١٩٢٩م
١٧. السفرجلاني، محي الدين، فاجعة ميسلون والبطل العظيم يوسف العظمة، ط١، مطبعة الترقي، دمشق، ٧١٩٣م.
١٨. شراب، محمَّد محمَّد حسن، عز الدين القسام شيخ المجاهدين في فلسطين، ط١، دار البشير، جدة، ٢٠٠٠م.
١٩. شهبندر، عبد الرحمن، ثورة سورية الكبرى أسرارها وعواملها ونتائجها، د.ط، دار الجزيرة، عمان، ١٩٤٠م.
٢٠. شوحان، أحمد، تاريخ دير الزُّور، ط١، مكتبة التراث، دير الزُّور، ١٩٨٩م.
٢١. الصواف، محمد شريف عدنان، موسوعة الأسر الدمشقية تاريخها، أنسابها، أعلامها، ط٢، بيت الحكمة، دمشق، ٢٠١٠م.
٢٢. طلاس، مصطفى، أحداث الثَّورة السُّوريَّة الكبرى كما سردها قائدها سلطان باشا الأطرش (١٩٢٥-١٩٢٧م)، ط١، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٧م.
٢٣. الطنطاوي، علي، رجال من التاريخ، ط٨، دار المنارة، جدة، ١٩٩٠م.
٢٤. العلواني، جميل، نضال شعب وسجل خلود، د.ن، د.م، ط١، ١٩٧٣م.
٢٥. العياشي، غالب، تاريخ سورية السياسي من الانتداب إلى الانقلاب (١٩١٨-١٩٥٤م)

وهو الإيضاحات السياسيّة وأسرار الانتداب الإفرنسي، د.ن، إدلب، د.ط، ١٩٥٤م.
٢٦. الفرفور، محمد صالح، المحدث الأكبر وإمام العصر العلاّمة الزاهد السيِّد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسني المتوفى (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) كما عرفته، ط١، دار الفرفور، دمشق، ٢٠٠١م.
٢٧. ـــــــــــ، الزاهر في الحديث العاطر عن الوالد الفاخر، العلامة العارف بالله الشيخ محمد صالح الفرفور الحسني، ط١، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، ١٩٨٧م.
٢٨. الفقير، حسن تحسين باشا (د.ت)؛ الإنتداب الفرنسي الغاشم على سوريا كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير، د.ن، د.م، د.ط.
٢٩. قاسمية، خيرية، مذكرات فوزي القاوقجي (١٩١٢-١٩٣٢م)، ط١، دار القدس، بيروت، ١٩٧٥م.
٣٠. القزويني، معز الدين محمد المهدي الحسيني، أسماء القبائل وأنسابها، شرح وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ط، ٢٠١٠م
٣١. الكيالي، عبد الوهاب (د.ت)؛ موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط.
٣٢. لونغريغ، ستيفن هامسلي (د.ت)؛ تاريخ سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي، دار الحقيقة، بيروت، د.ط.
٣٣. مذكرات عبد الرحمن الشهبندر، ط١، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٧م.
٣٤. المرعشلي، يوسف، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٦م.
٣٥. هندي، إحسان، كفاح الشعب العربي السوري (١٩٠٨-١٩٤٨م) دراسة عسكرية تاريخية، الدراسة الفائزة بالجائزة الأولى لمسابقة الأبحاث القومية العسكرية لسنة ١٩٦٢، ط٢، دمشق، ١٩٦٢م.
٣٦. ـــــــــــ، معركة ميسلون، د.ن، دمشق، د.ط، ١٩٦٧م.

٣٧. يونس، عبد اللطيف، تاريخ الثورة العلوية وقائدها الشيخ صالح العلي، مطابع أبي الفداء، حماة، د.ط، (د.ت).
٣٨. ـــــــــــــــ، ثورة الشيخ صالح العلي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة، دمشق، د.ط، ١٩٤٧م.
٣٩. الصحف والمجلات والجرائد العربية
٤٠. الجندي، أدهم، صفحات منسية عن بطولات أبناء دير الزُّور، العمران تصدرها وزارة البلديات، رئيس التحرير عادل سلوم، عدد خاص عن دير الزُّور، العدد ٣٩-٤٠، ١٩٧١م.
٤١. الحامد، عبد الغني، أخي كما عرفته، حضارة الإسلام مجلة فكرية جامعة، دمشق، العدد الثالث، ١٩٦٩م.
٤٢. الخطيب، محب الدين، النتائج الأولى لتتريك الاسكندرونة، الفتح، صحيفة إسلامية أسبوعية، القاهرة، العدد ٦٦١، العام الرابع عشر، ١٨ جمادى الأولى ١٣٥٨.
٤٣. ـــــــــــــــ، العبرة في مسألة الاسكندرونة، الفتح، صحيفة إسلامية أسبوعية، القاهرة، العدد ٥٢٢، العام الثاني عشر، الخميس ٢٤ ربيع الأول ١٣٥٦.
٤٤. ـــــــــــــــ، إلى إخواني شباب دمشق بمناسبة تأسيس جمعية الشباب المسلمين فيها، الفتح، صحيفة إسلامية أسبوعية، القاهرة، العدد ١٣٨، السنة الثالثة، الخميس ٢٥ رمضان ١٣٤٧.
٤٥. رضا، محمد رشيد، الرحلة السورية الثانية، المنار، المجلد الثالث والعشرون، ٢٩ شعبان ١٣٤٠.
٤٦. السباعي، مصطفى، حسني السباعي، حضارة الإسلام، مجلة فكريّة جامعة، دمشق، العدد السادس والسابع، السنة الثانية، ١٩٦٢م.
٤٧. ـــــــــــــــ، سماحة العلامة الشيخ عبد المحسن الأسطواني شيخ المعمرين في بلاد الشام، حضارة الإسلام مجلة فكرية جامعة، دمشق، العدد الخامس، السنة الرابعة، ١٩٦٤م.

٤٨. الطنطاوي، محمَّد علي، طلاب دمشق بشرى عظيمة ونهضة كبرى، الفتح، صحيفة إسلامية أسبوعية، القاهرة، العدد ١٥٨، السنة الرابعة، الخميس ٢٥ صفر ١٣٤٨هـ.
٤٩. علوان، إبراهيم، النِضَال القومي لدير الزُّور، العمران تصدرها وزارة البلديات، رئيس التحرير عادل سلوم، عدد خاص عن دير الزُّور، العدد ٣٩-٤٠، ١٩٧١م.
٥٠. عياش، عبد القادر، وادي الفرات في القطر العربي السّوري، العمران تصدرها وزارة البلديات، رئيس التحرير عادل سلوم، عدد خاص عن دير الزُّور، العدد ٣٩-٤٠، ١٩٧١م.
٥١. محمَّد شاكر، أحمد، أستاذنا حجة الاسلام السيد محمَّد رشيد رضا، المقتطف مجلة علميَّة صناعية زراعية، القاهرة، المجلد السابع والثمانين، ١ أكتوبر ١٩٣٥م.
٥٢. مطر، محمَّد، صانعوا الاستقلال يستحقون تخصيصهم برواتب شهرية أسوة بزملائهم في المحَافظات الأخرى، الفرات جريدة محلية أسبوعية يصدرها المكتب التنفيذي لمجلس محافظة دير الزُّور، السنة الأولى، العدد الحادي والثلاثون، ١٦/ ٤/ ١٩٨٤م.
٥٣. مكي، مجد، علي الطنطاوي من حماة الإسلام، جريدة المدينة المنورة، جدة، ٦ ربيع الأول ١٤٢٠هـ.

الوثائق الفرنسيّة

1. Haut Commissarıat De La République Française En Syrie Et Au Liban (20 Août 1922); Bulletin Oficiel Des Actes Administratifs Du Haut Commissariat, Beyrouth, Deuxième Année No 34, Le Numéro 5 P. S.
2. Ministère Des Affaires Étrangères Commission Des Archives Diplomatiques Documents Diplomatiques Français (21 juillet 1921); M. Briand, Ministre des Affaires étrangères, À M. de Saint-Aulaire, Ambassadeur de France à Londres, Paris, T. n° 2762- 2765, 16 h.

40, Tome II.

3. Ministère Français Des Affaires Étrangères (9 Aout 1919); Affaires Étrangères, Télégramme A L'arrivée Duplicata, Beyrouth, No 1118-1119, sér: E, Carton: 313, Dossier: 1.
4. Ministeres Des Affaires Etrangeres Et De La Guerre (16 Août 1920); Bulletın Périodıque De La Presse Suısse, Paris, N° 135.
5. République Francaise Ministère Des Affaires Ètrangères (1925); Rapport À La Société Des Nations Sur La Situation De La Syrie Et Du Liban (Année 1925), Imprimerie Nationale, Paris.
6. Republique Française Ministere Des Affaires Étrangères (1926); Rapport A La Societe Des Nations Sur La Situation De La Syrie Et Du Liban (Année 1926), Imprimerie Nationale, Paris.

الصحف الفرنسيّة

1. La Lanterne (13 Août 1921); journal politique quotidian, par Eugène Mayer, Paris.
2. La Vigie marocaine (17 Septembre 1940); Vigie marocaine, Casablanca.
3. Le Matin (12 Novembre 1921); derniers télégrammes de la nuit, Par Edwards Alfred, Paris.

المصادر الفرنسيّة

1. Huntziger, Général (Août 1936); Le Livre D'or Des Troupes Du Levant (1918-1936), Imprimerie Du Bureau Typographique Des Troupes Du Levant, Beyrouth.